«عزيزتنا السيدة هيوز»، رفضت لجنة ساكستن مخطوطها الشعريّ، ذلك [المخطوط] الذي سوف يصبح، فيما بعدُ، [كتابَ] ***التمثال الضخم***، لذا شعرت پلاث بالزّهو حين حظي مشروع ***الناقوس الزجاجي*** بالقبول لاحقاً.

كما كان لِپلاث ناشر إنجليزيّ: كانت دار وليام هاينمان قد نشرت ***التمثال الضخم*** في خريف 1960، ووافقت على نشر ***الناقوس الزجاجي*** تحت الاسم المستعار: ڤيكتوريا لوكاس (رغم أنّ الجميع، في عالم لندن الأدبيّ، كان يعلم أنّ پلاث هي المؤلفة)، وذلك في كانون الثاني من سنة 1963 — وقبل بضعة أسابيع من وفاة پلاث. كانت المراجعات النّقديّة التي تناولت العمل فاترة، فكان وقع ذلك على پلاث شديداً. غير أنّها كانت قد شرعت في كتابة رواية أخرى في الرّبيع السابق. ووفقاً [illegible] أنها أضرمت پلاث النّار في رواية أخرى كانت قد انتهت من كتابتها، ذات ثورة غضب استبدّت بها، ورغم أنّها لم تكن ضالعة في فنّ القَصّ، مثلما كانت في كتابة الشعر، إلاّ أنّها عقدت العزم على أن تكتب «الروايةَ إثر الروايةِ» ما إن تنتهي من كتاب قصائدها إرييل Ariel.

وما إن صدرت رواية الناقوس الزجاجي، في لندن، حتى تعرضت حياة پلاث إلى هزّة عنيفة؛ كان زواجها من الشاعر تيد هيوز قد انتهى، كما لازمها هلع بشأن الحاجة إلى المال، وكانت قد انتقلت مع ولديها الصغيرين إلى شقّة خالية من الأثاث، ذات شتاء بريطانيّ شديد البرودة لم يسبق له مثيل، منذ مئات السنين. ونتيجة لذلك، أصيب ثلاثتهم بالزكام. لم يكن ثمة هاتف في المنزل، وكانت المساعدة الخاصّة برعاية الأطفال منعدمة. كانت پلاث تدرك جيّداً مدى تفرّد القصائد التي كانت تكتبها — أخبرها إيه. ألڤاريز، الناقد البارز في تلك الأيّام، أنّها تستحقّ جائزة پوليتزر. ولكنّ ذلك لم يحل بينها

Preview from Notesale.co.uk
Page 9 of 358
Twitter: @ketab_n

وبين تجربة ***الناقوس الزجاجي*** المروعة، [تجربة] الانحدار المفاجئ إلى كآبة عميقة مهّدت لأولى محاولتها في الانتحار، في [ذلك] الصّيف الذي تصفه الرّواية. كان يؤثث المشهد— هذه المرّة— عدد من العناصر ذاتها: الرّحيل المفاجئ لحضور الشخصيّة الذكوريّة المركزيّة في حياتها، الرّفض النّقديّ (لم تُقبَل بِلاث لحضور دروس فرانك أوكونر في الكتابة الإبداعيّة، بجامعة هارڤارد، في الصيف الذي تدور فيه أحداث ***الناقوس الزجاجي***) والعزلة في بيئة جديد، والإعياء الشديد.

كان انتحار بلاث، في الحادي عشر من شباط 1963، سبباً في ذيوع صيتها العاجل في إنجلترا، حيث كانت قد حظيت، في السابق، بأكثر من ظهور عرضيّ على قناة البي بي سي، وبدأت تحظى بالشهرة بفضل نشراتها. غير أنّها لم تكن معروفة في موطنها الأصلي، ولم تكن ثمة علامة على أنّها سوف تغدو واحدة من الشعراء البارزين القويين على نطاق واسع، وطلقة نسويّة feminist خاطبت روايتها المنشورة الوحيدة مشاعر أكثر من جيل واحد، على حد سواء.

وحين وصلتُ دارَ هارپر، لأول مرّة، في صيف 1964، لم تكن ثمة وظيفة محددة لي فعليّاً— كنتُ أقرأُ الأعمال المتقدمة لمسابقة جائزة ساكستِن في الرواية، آخر تمظهرات المنحة، وقد تم التعاقد معي، كما أوضح ذلك رئيسي الجديد، على أساس أنّه «إن كنتُ على قدر الكفاءة التي يعتقدونها، فسوف أجدُ شيئاً ما أقوم به». نظرت من حولي؛ كانت محرّرة الشعر (والتي كانت إحدى اللواتي قرأن ***الناقوس الزجاجي*** ولم ترق لها) على وشك التقاعد. قمت بشيء من البحث، فوجدت أنّ شعور عدم الرضا والتذمُر يكاد يغشى كل شاعر في أميركا إزاء ناشر أعماله. بدا ذلك لي فرصةً جيّدة لاستمالة بعض نجوم

Preview from Notesale.co.uk
Page 10 of 358

Twitter: @ketab_n

حقبة ما بعد الحرب العالميّة الثانية، كان مجرّد تلذذ المرء بجسده أمراً محفوفاً بالمخاطر، يصعب تصديقه. وكان ثمة أمرٌ آخر توجب على پلاث أن تتولى زمامه: ولأنّها كانت فقيرة، فإنّ كل شيء يعتمد على المحافظة على منحتها والفوز بالجوائز. فلو كانت أقل من متميّزة، لفقدت كل شيء في لحظة واحدة. إما بالنسبة إلى كل من يتفكر في علميّة قبول الطلبة في الجامعات اليوم، فإنّ القلق الذي كان يساور پلاث يبدو أمراً مألوفاً جداً.

وربّما لأنها ماتت في سنّ مبكرة، فقد عدها أغلب النّقاد كاتبةً معاصرة. أتذكر ناقدة نسويّة بارزة– والتي تاقت إلى أن تكون كاتبة سيرتها– وهي تتحدث حول السنة الأخيرة الصعبة من زواج پلاث: « لا أستطيع فهم ما جرى– لِمَ لم ترحل» كما لو أنّ ذلك سيكون خياراً واضحاً بالنسبة إلى شابّة أميركيّة عالقة في الريف البريطاني رفقة طفلين صغيرين، ومن دون معيل، في أوائل الستينيات.

وقد يكون صحيحاً أن يشعر القرّاء أنها كاتبة معاصرة أيضاً، ذلك أنّ لصوتها تلك الحِدة، وذلك التوثُب. فأغلب ما كتبته پلاث في حياتها القصيرة (وقد كتبت الكثير على نحو استثنائيّ– أتلفت ثلاث آلات كاتبة، وجمعت في كتابتها بين الشعر والمسرح والمسرحيّات الإذاعيّة والرواية) يمتلك تلك الخاصيّة: بداهة رسالة فُتحَت للتو. وإنّه لأمر مفجع أنّ نفكر بما كانت ستكتبه، بما كان سيحمله صوتها المذهل من نضج وحكمة.

وثمة أشياء نستطيع رؤيتها من هذه المسافة، أشياء لم نقدر على رؤيتها من قبل. فعندما نشرت الرواية لأول مرّة، كان موتها لا يزال مأساة حيّة، تاركةً عائلتها نهب ألم عظيم لن يعمل أيّ إصدار جديد للرواية إلاّ على جعله أكثر

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 17 of 358

وقع اختيار دورين عليّ فوراً. جعلتني أشعر أنّني كنت أكثر ذكاء من الأخريات، وقد كانت مسليّة على نحو رائع. اعتادت الجلوس بجانبي على طاولة المحاضرات، وحين كان يتحدث المشاهير الذين كانوا يقومون بزياراتنا، كانت تهمس لي بملاحظات ذكيّة ساخرة.

كانت الكليّة التي تخرّجت منها مدركة لألـوان الموضة، مثلما أخبرتني، بحيث كان للفتيات أغطية محافظ يدويّة صُنعت من ذات القماش الذي لفساتينهنّ، حتى يحظين بمحافظ يدويّة مناسبة في كل مرّة يبدلنّ فيها ملابسهنّ. كان لمثل تلك التفاصيل تأثيرها عليّ. لقد ألمحت إلى حياة من الانحطاط decadence الرائع، والمفصّل على نحو مدروس، والذي جذبني إليه مثل مغنطيس.

كان السبب الوحيد الذي وبّختني عليه دورين بشدة هو قلقي الدائم تجاه الانتهاء من فروضي الدراسيّة في الموعد المقرّر.

«لِمَ تقلقين بشأن ذلك؟» تمددت دورين كاسل، على سريري، في ثوب نوم حريريّ خوخيّ اللون، وهي تقلم أظافرها الطويلة المصفرّة جرّاء التدخين بمبرد أظافر، فيما كنت أضرب على الآلة الكاتبة مسودة حوار أجريته مع روائيّ حقّقت رواياته مبيعاً كبيراً.

كان ثمة أمر آخر– فبينما كانت بقيّة الفتيات يرتدين ثياب نوم قطنيّة منشاة وَمَباذِل مُضرَّبة، أو، ربّما، أردية من نسيج وَبَريّ تُطوَى مثل سُتَر شاطئيّة، كانت دورين ترتدي منامات بلون بشرتها تلتصق بجسمها بقوة كهربائيّة ما. كانت تعبق برائحة مخضلة بالعرق ذكرتني بأوراق السرخس الحلوة التي تتخذ شكل شرائح لحم رقيقة، والتي تنتزعها ثم تسحقها بين أصابعك بحثاً عن عبير

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk Page 26 of 358

لا شك أنّني قد تعلمت، بهذه الطريقة، أشياء لم أكُن لأتعلمها أبداً، حتى حين تدهشني تلك الأشياء أو تجعلني أصاب بالغثيان، فإنّني لا أفصح عن مشاعري، بل أتظاهر أنّ تلك هي الطريقة التي أعرف بها الأشياء دوماً.

Preview from Notesale.co.uk
Page 37 of 358

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 38 of 358

كانت الردهة خالية إلاّ من موظف الاستقبال الليليّ، الذي كان يغفو في حجيرته المضاءة، بين سلاسل المفاتيح والهواتف الصامتة.

تسللت بهدوء إلى المصعد ذي الخدمة الذاتيّة، وضغطت على زرّ الطابق الذي أنزل فيه. أطبق باب المصعد مثل أوكورديون صامت. ثم راحت أُذناي تتخذان شكلاً مضحكاً، لاحظتُ امرأة صينيّة ضخمة، مشوشة الرؤيا، تحدق فيّ بغباء. لم تكُن تلك المرأةُ إلاّي، من دون ريب. كنت مرتعبة لرؤية كيف بدا وَجهي مُجعّداً، وكيف بدوت خائرة القِوى تماماً.

لم يكُن أحدٌ في الممر سواي. دلفت إلى غرفتي. كانت مليئة بالدخان. اعتقدت، لأول وهلة، أنّ الدخان قد تَمَـدى من الهواء الرقيق كنوع من القصاص، لكنّني أدركت حينئذ، أنّه كان دخان سيجارة دوريين، فضغطت على الزرّ الذي فتح منفذ التهوية. كانوا قد ثبّتوا النّوافذ بقوة حتى لا يستطيع المرء فتحها والانحناء خارجها، وهذا ما جعلني أميّز غيظاً لسبب ما.

كنت أستطيع، حين أقف في الجهة اليسرى من النافذة، واضعة وجنتي على الإطار الخشبيّ، رؤيةَ قاع المدينة، حيث يتساوق مقر الأمم المتحدة في العتمة، كقرص عسلٍ مَرّيخيّ، غريب، أخضر. كنت أستطيع رؤية الأضواء الحمراء والبيضاء وهي تومض على طول الطريق، وأضواء الجسور التي لا أعرف أسماءها أيضاً.

أصابني الصمت بالكآبة. لم يكن صمتَ الصمت. كان صمتي أنا.

أدركت تماماً أنّ السيارات كانت تحدث ضجيجاً، وأنّ النّاس الذين بداخلها، والذين خلف نوافذ البنايات المضاءة، يحدثون ضجيجاً، وأنّ النهر كان يحدث ضجيجاً أيضاً، لكنّي لم أسمع شيئاً. كانت المدينة معلقة بنافذتي،

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk Page 44 of 358

لا بُد أن ثمة أشياء لا يمكن لحمام ساخن أن يعالجها، لكنّني لا أعرف الكثير منها. فكلما شعرت بالحزن لمفارقة الحياة، أو حين أتوتر إذ يجافيني النوم، أو حين أعشق شخصاً ما ولا أتمكن من رؤيته لإسبوع بطوله، تجتاحني مشاعر الكآبة، ثم أقرّر أخذ حمام ساخن.

أتأمل في حوض الاستحمام. يجب أن يكون الماء ساخناً جداً حتى لا تستطيع احتمال وضع قدمك فيه. ثم تحني هامتك، شيئاً فشيئاً، حتى يصل الماء إلى عنقك.

أذكر السقف الذي يعلو حوض الاستحمام الذي كنت أتمدد فيه. أذكر بنية السقف والشقوق والألوان وبقع الرطوبة وأماكن الضوء الثابتة. وأذكر أحواض الاستحمام أيضاً: أحواض الاستحمام العتيقة ذات القوائم على شاكلة أرجل الغرِفين[14]، والأحواض الحديثة التي على شاكلة توابيت، والأحواض المرمريّة الورديّة المزخرفة التي تُطل على برك داخلية تغطيها الزنابق، وأذكر أشكال الحنفيّات وأحجامها، ومختلف أنواع صحون الصابون.

لا أشعر بوجودي إلاّ عندما أكون في حوض ماءٍ ساخن.

تمددت في ذلك الحوض، في الطابق السابع عشر لهذا الفندق المخصص للنساء فقط، عالياً فوق صخب نيو يورك وموسيقى جازها، قرابة الساعة، فشعرت أنّي طاهرة من جديد. لا أومن بالتعميد، أو بماء نهر الأردن، أو بأيّ شيء من ذلك، لكنّني أشعر تجاه الحمام الساخن بذات الطريقة التي يشعر بها المتديّنون تجاه الماء المقدس.

قلتُ لنفسي: «إنّ دورين تتلاشى، وَلِني شيبرد يتلاشى، وفرانكي

14- الغرِفن Griffin: حيوان خرافيّ برأس نسر وجسم أسد. (المراجع).

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 46 of 358

«مرحباً؟»

«أنا جاي سِي»، قالت بتحفّز قاس. «أتساءل إن خطر ببالك الذهاب إلى المكتب اليوم؟».

غرقت في الملاءات. لم أستطع إدراك لِمَ ظنّت جاي سِي أنّني قد أذهب إلى المكتب. كانت لدينا بطاقات منسوخة بجداول أعمالنا حتى نستطيع معرفة الأنشطة التي يتوجب علينا القيام بها، حيث كنّا نقضي صباحات وظهيرات عديدة بعيداً عن المكتب لحضور بعض الأنشطة في البلدة. ومما لا شك فيه أنّ بعض تلك الأنشطة كان اختيارياً.

ترددتُ، ثم قلت بخنوع: «فكرت بالذهاب إلى معرض الفرو». في الواقع، لم أفكر بشيء من ذلك القبيل، لكنّني لم أعرف ماذا أقول.

«قلت لنا أنّي فكرت بالذهاب إلى معرض الفرو»، قلتُ لِبتسي. «لكنّها طلبت منّي أن أذهب إلى المكتب، فقد رغبت في التحدث إليّ قليلاً، وأنّ هنالك بعض الأعمال التي يتوجب إنجازها».

«آه، آهْ!»، قالت بتسي بتعاطف. لا بُد أنّها لمحت الدموع التي سقطت في طبق التحلية المكون من المَرَنغ وبوظة البراندي، ذاك أنّها كانت قد مرّرت إليّ طبقها الذي لم تلمسه بعد، فرحت ألتهمه، شاردةَ الذهن، بعد أن فرغت من طبقي. شعرت بالحرج من دموعي، لكنّها كانت حقيقيّة على نحو يكفي. لقد أخبرتني جاي سِي بأشياء رهيبة.

وحين هممت بالدخول إلى المكتب حوالي الساعة التاسعة، وقفت جاي سِي ثم درات من حول مكتبها وأغلقت الباب. جلست في الكرسيّ الدوار الذي أمام طاولة آلتي الطابعة التي تواجهها، فيما جلست هي في

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 59 of 358

الكرات وهي تنزلق على المنزلقات، وأنصت إلى الأجراس وهي تُقرَع في نهاية الفصل الذي أخفقت فيه معظم الفتيات، فيما حصلتُ على علامة كاملة. سمعتُ السيّد مانزي يقول لزمرة من اللواتي كُنّ يتذمرن من صعوبة الدروس، «كلاّ، لا يمكن أن تكون بتلك الصّعوبة، فقد حصلت إحداكنّ على علامة كاملة». «مَن؟»، أخبرنا، قُلن. لكنّه هزّ رأسه، ولم ينبس ببنت شفة، مكتفياً بتوجيه ابتسامة عذبة متواطئة نحوي.

كان ذلك ما جعلني أفكر في عدم الالتحاق بفصل الكيمياء التالي. قد أكون حصلت على علامة كاملة في الفيزياء، لكنّني كنت فزعة جداً. جعلتني الفيزياء أشمئزّ من الأرقام. فعوضاً عن أشكال أوراق النبات والرسومات التخطيطيّة المضمّنة فيها التي تتنفّس من خلالها، والكلمات الساحرة، مثل الكَارُوتين واليَصفُور، التي ترتسم على السبّورة، كانت تلك المعادلات البشعة، العصيّة على القراءة، والتي أحرفها تشبه العقارب، التي يخطها السيد مانزي بطبشورته الخاصة الحمراء.

أدركت أنّ الكيمياء ستكون أسوأ، حيث رأيت جدولاً بيانيّاً من تسعين عنصراً غريباً معلقاً في مختبر الكيمياء. كانت كل الكلمات الرائعة، كالذهب والفضة والكوبالت والألمنيوم، مختَصَرةً بصيغ بشعة متبوعة بأرقام عشريّة. سأُجنّ إن حشوت دماغي بمزيد من ذلك الهراء. سأخفق فوراً. ولقد بذلت جهداً رهيباً لأحمل نفسي على احتمال نصف السنة الأولى.

وهكذا، ذهبت إلى العميدة حاملة معي خطة ذكيّة.

كانت خطتي تتلخص في حاجتي إلى الوقت لألتحق بحلقة دراسيّة حول شكسبير، لا سيّما وأنّني، رغم كل شيء، أدرس الإنجليزيّة اختصاصاً.

Preview from Notesale.co.uk
Page 65 of 358
Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 68 of 358

(4)

لا أعلم السبب الذي دفعني إلى التفكير بهروبي الموفق من دروس الكيمياء وأنا في مكتب جاي سِي.

كان السيد مانزي، أثناء حديث جَاي سِي، يتطاول منتصباً في الهواء خلف رأسها، كما لو استُحضِر للتو من جوف قبّعة، ماسكاً بين يديه كرته الخشبيّة الصغيرة ودورق التجارب الذي كان يُرسل في الهواء سحابةً رفيعة من دخان أصفر، كالذي ينطلق قبيل احتفالات أعياد الفصح. كان ينشر في الهواء رائحة البيض العفن، بينما [illegible]، وباقي البنات، في ضحك مجلجل.

شعرتُ بالحزن تجاه السيد مانزي. انتابتني رغبة في الزحف إليه على يديّ والاعتذار له عن تظاهري بالصدق أمامه.

ناولتني جاي سِي رزمة من مخطوطات قصص قصيرة، ثم راحت تتحدث إليّ بطيبة أكبر. قضيت ما تبقّى من الصباح في قراءة القصص، وطباعة ما راودني بشأنها على صفحات مذكرات المكتب الورديّ، ثم أرسلتها إلى مكتب المحررة الذي تتواجد فيه بتسِي لتقرأها في اليوم التالي. كانت جاي سِي تقاطعني، بين حين وآخر، لتخبرني بأمور عمليّة، أو لتبث بعض الأخبار.

كانت جاي سِي تعتزم تناول طعام الغداء، في تلك الظهيرة، مع كاتبين مشهورين، رجل وسيدة. كان الرجل قد باع للتو ست قصصاً قصيرة لمجلة نيُو يُوركَر، وستاً أخرى لجَاي سِي. أثار الأمر حفيظتي، فلم أكُن أعلم أنّ المجلاّت تشتري القصص في مجموعات من ست، وقد هالني مبلغ المال الذي ستدرّه

Preview from Notesale.co.uk Page 69 of 358
Twitter: @ketab_n

تلك القصص على صاحبها. أخبرتني جاي سِي أنّها ستتوخى الحذر خلال هذا الغداء، لأنّ السيدة تكتب قصصاً قصيرة أيضاً، ولكنّها لم تنشر أيّاً منها في النيّو يوركر، ولم تشتر منها جاي سِي سوى قصة واحدة خلال خمس سنين. كان يتوجب على جاي سِي أن تكيل المديح للرجل ذائع الصيت، وتكون كيّسةً كي لا تجرح مشاعر السيدة الأقّل شهرة، في الوقت نفسه.

وحين رفرفت ملائكة ساعة الحائط الفرنسيّة، التي في مكتب جَاي سِي، بأجنحتها إلى الأعلى ثم إلى الأسفل، واضعة أبواقها المذهّبة الصغيرة بين شفاهها، صادحةً باثنتي عشرة نغمة، الواحدة تلو الأخرى، أخبرتني أنّني أنجزتُ ما يكفي من العمل في ذلك اليوم، وأستطيع الالتحاق بالجولة التي تنظمها مجلة يوم السيدات وبحفلة الغداء التي تقيمها، ومشاهدة الفيلم الذي سيعرضونه، لأنها تريد أن تراني مشرقة ومبكرة في الغد.

ثم تركت سترتها تنساب على بلوزتها الأرجوانيّة، وعصبت قبّعة من الليلك المقلد، ووضعت قليلاً من البودرة على أنفها، ثم عدلت من وضعية نظارتيها السميكتين. كانت تبدو بشعة، ولكن في غاية الذكاء. ربتت، وهي تغادر المكتب، على كتفيّ بيدها الملفعة بقفّاز أرجوانيّ.

«لا تتركي المدينة الشريرة تنال منك».

جلستُ هادئةً، لبرهة، في الكرسيّ الدوار، أفكر في جاي سِي. حاولت تخيُّل نفسي أنّني بِي جِي Be Gee، المحررة الشهيرة، في مكتب تكتظ جنباته بمزهريّاتِ نباتات بلاستيكيّة وزنابق أفريقيّة تتوجب سقايتها كل صباح. تمنيّتُ أُماً مثل جاي سِي. حينئذ، سأعرف ما يتوجب عليّ فعله.

لم تكن أمي ذات فائدة ترتجى. كانت قد درّست لغة الاختزال

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk
Page 70 of 358

shorthand والطباعة لتعيلنا بعد وفاة أبي، وهي مهنة كانت تضمر لها مشاعر الكراهيّة، مثلما كرهت أبي لأنّه مات وتركها من دون مال، فهو لم يكن يثق بوكلاء التأمين على الحياة. كانت، دوماً، تلاحقني لأتعلم لغة الاختزال بعد التخرُّج حتى يكون لديّ مهارة عملية إضافة إلى الدرجة الجامعيّة. وكانت تقول: «حتى الرسُل كانوا يصنعون الخيام». «كان يتوجب عليهم العيش، مثلما يتوجب علينا أيضاً».

مرّرت أصابعي في صحن الماء الدافئ، الذي وضعته إحدى خادمات حفلة مجلة يوم السيّدات مكان طبق البوظة الفارغ. مسحت، بعناية، كل إصبع بمنديلي الكتانيّ الذي كان لا يزال نظيفاً على نحو ما. ثم طويت المنديل ووضعته بين شفتيّ وضغطت عليه. وحين وضعت المنديل على الطاولة، كان شكل شفةٍ، ورديّ، مضطرب، يرتسم، في وسطه، كقلب صغير.

حينئذ، تماثل إلى ذهني التقدم الذي أحرزته.

كانت المرة الأولى التي رأيت فيها صحناً لغسل الأصابع في منزل السيدة التي كانت تشملني برعايتها. جرت العادة، في الكليّة التي كنت أرتادها— كما أخبرتني السيدة القصيرة ذات الوجه المنمش التي تعمل في مكتب المنح الدراسيّة— أن يرسل الطالب خطاباً إلى الشخص الذي يستفيد هو من منحته، إن كان على قيد الحياة، وأن يشكره على حسن صنيعه.

كنتُ أستفيد من منحة فيلومينا غوينيا Philomena Guinea، وهي روائيّة ثريّة درست في الكليّة التي أتواجد فيها أوائل القرن التاسع عشر. كانت روايتها الأولى قد تحولت إلى فيلم صامت لعبت فيه بتي ديفس Bette Davis دور البطولة، وإلى مسلسل إذاعي لا تزال تبث حلقاته، وقد صادف أن كانت

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 71 of 358

وقت طويل، حين أخبرتني بذلك فتاة في سنتها الدراسيّة الأولى تعرّفت عليها في الكليّة.

عندما غادرنا الأجواء الداخليّة لمكاتب مجلة يوم السيّدات التي تغمرها أشعة الشمس، كانت الشوارع رماديّة ترسل سحباً من الدخان جرّاء المطر المنهمر. لم يكن المطر من النّوع الجميل الذي ينهمر برفق، بل من النّوع الذي لا شك أنّه يعم البرازيل. كان يتقاطر من السماء بحجم فناجين القهوة، يضرب نواصي الشوارع الملتهبة بهسيس يبعث إلى الأعلى سحباً من البخار تتلوى من الإسفلت الأسود المضيء.

تبددت آمالي بقضاء العشيّة لوحدي في سنترال بارك، حين دلفت إلى الغرفة الزجاجيّة ذات الأبواب الدوارة الخاصّة بمجلة يوم السيدات. وجدتني ملقاة، عبر غلالة المطر الدافئ، داخل سيّارة أجرة هادرة معتمة، رفقةَ بِتسِي وهيلدا وَإمِلِي آن أوفنباخ Offenbach Emily Ann، وهي فتاة صغيرة أنيقة تعقد شعرها الأحمر على شكل كعكة فوق العنق، ولديها زوج وثلاثة أبناء في تِينِك Teaneck، بنيو جيرزي.

Preview from Notesale.co.uk
Page 73 of 358

كان الفيلم في غاية الرداءة، تلعب دور البطولة فيه فتاة شقراء جميلة تبدو كجون أليسن June Allyson، وثمة فتاة أخرى مثيرة، ذات شعر أسود فاحم، تبدو كإليزابيت تيلَر Ėlizabeth Taylor، وشخصان آخران كبيران بمناكب عريضة يحملان أسماء على شاكلة ريك Rick وَجِل Gil.

كان الفيلم رومانسيّاً بالألوان، يدور حول كرة القدم.

أكره الأفلام الملونة، حيث يبدو كل شخص وكأنّه مضطر لارتداء أزياء رهيبة في كل مشهد جديد والوقوف في الجوار كمنشر الغسيل، ناهيك عن

Twitter: @ketab_n

بالطبع، لم أعرف حقيقته بادئ الأمر. كنت أظنّه أروع شخص عرفته. عشقته، عن بُعد، طيلة خمس سنين،من دون أن يعيرني بالاً. يا لروعة الوقت الذي كان، حين كنتُ لا أزال أحبّه، وكان قد بدأ يلحظ وجودي. ثم اكتشفت بالصدفة، حين أخذ يهتم بي أكثر فأكثر، كم هو منافق. وها هو الآن يريد الزّواج بي. آه، كم كرهت جرأته.

قرّرت عدم الذهاب إلى الكافيتيريا لتناول طعام الإفطار. كان الأمر، بالنسبة إليّ، مجرّد ارتداء الثياب من جديد. وما جدوى ذلك إن كنت سأقضي الصّباح وأنا أتقلب في السرير؟ كان بإمكاني مهاتفتهم، طالبة إرسال الطعام إلى غرفتي، غير أنّ ذلك سيحتم عليّ تقديم بقشيش إلى الشخص الذي سيحضره. لم تكن لدي أدنى فكرة عن المقدار الذي يتوجب عليّ دفعه، فقد قاسيت الأمرّين حين حاولت تقديم البقشيش إلى بعض الأشخاص في نيو يورك.

حين حللت بنيو يورك لأول مرّة، حمل حادم الفندق، قصير القامة الأصلع، والذي كان يرتدي زيّة الرسمي، حقيبتي إلى المصعد، ثم فتح لي الغرفة بالمفتاح. هرعت، مسرعةً، إلى النافذة لأرى كيف يبدو المنظر. ثم تنبّهت، بعد هنيهة، إلى أنّه لم يبرح الغرفة بعد. كان يفتح صنوبريّ الماء الساخن والبارد في حوض الغَسل، قائلاً: «هذا للماء الساخن، وذاك للبارد». ثم أدار المذياع، وراح يعدد أسماء القنوات الإذاعيّة، فشعرت بالضيق. أوليت له ظهري، ثم قلت بحزم: «أشكرك على حمل حقيبتي».

«شكراً، شكراً، شكراً. ها!»، قال بنبرة بذيئة مبطنة. كان قد اختفى، قبل أنّ ألتفت لأرى ماذا جرى، صافقاً الباب، خلفه، بوقاحة.

لاحقاً، حين أخبرت دوريين عن سلوكه الغريب، قالت: «أيّتها

Preview from Notesale.co.uk
Page 88 of 358

Twitter: @ketab_n

الشتاء، ثم وهي، في فصل الرّبيع، بكل ثمارها الخضراء. خالجني شعور بالأسى حين وصلت إلى الصفحة الأخيرة. رغبت في الزحف بين خطوط الكتاب السوداء كما يزحف المرء عبر سياج، وأن أخلد للنّوم في كنف تلك الشجرة الخضراء الجميلة الضخمة.

بدا الأمر كأنّنا نشبه– بَدِي ويلارد وأنا— ذلك اليهوديّ وتلك الرّاهبة، رغم أنّنا لم نكن يهوديّين أو كاثوليكيّين، بل موحدين Unitirian. كنّا قد التقينا تحت أغصان شجرة التين المتخيّلة، ولم يكن ما شاهدناه طائراً يخرج من البيضة، بل طفلاً يخرج من رحم امرأة، ثم حدث شيء مرعب، فتفرّقت بنا السّبل.

خلتني ممدّدة هناك في سرير الفندق الأبيض شاعرةً بالوحدة والضعف— في تلك المصحة بأدِيرونداكس Adirondacks، فشعرت بالكآبة. كان بَدِي يثابر، في رسائله على إسباري كيف أنّه بات يقرأ قصائد شاعر طبيب، وكيف عثر على كاتب قصص قصيرة روسيّ كان يزاول مهنة الطب أيضاً، فربّما كان الأطباء والكتاب يأتلفون رغم كل شيء.

Preview from Notesale.co.uk
Page 91 of 358

تبدو نبرة بَدِي نبرةً مختلفة جداً عما كان يقوم به في العامين اللذين كنّا نحاول فيهما التعرف على بعضنا. أذكر اليوم الذي ابتسم فيه إليّ، قائلاً:

«أتعرفين ما القصيدةُ، يا إستر؟».

«كلاّ، ما هي؟».

«شيءٌ من الغُبار». بدا فخوراً لأنّه فكر بتلك الإجابة، لدرجة أنّي حدقت في شعره الأشقر وعينيه الزرقاوين وأسنانه البيضاء– كانت له أسنان بيضاء، قويّة وطويلة– ثم قلتُ: «أظنّ ذلك».

Twitter: @ketab_n

«أوه، جوان»، قال. «لقد دعتني إلى هذه الحفلة الراقصة منذ شهرين، كما طلبت أمها من أمي أن أرافقها، فما عساي أن أفعل؟».

«حسناً، لِمَ قلتَ أنّك سترافقها إن لم تكن راغباً في ذلك أصلاً؟»، سألته بخبث.

«أوه، أُكنّ مشاعر وُد لجوان. فهي لا تكترث إن صرفت عليها المال أم لا، وتستمتع بالقيام بالأشياء في الهواء الطلق. كنّا قد قمنا، في المرة الأخيرة التي جاءت فيها إلى ييل، خلال إجازة نهاية الأسبوع، بنزهة على درّاجتينا الهوائيّتين إلى إيست رُك East Rock، وكانت هي الفتاة الوحيدة التي لم يتوجب عليّ دفعها إلى أعلى التلال. جوان فتاة مناسبة.

اقشعرّ بدني من [illegible] لم يسبق أن ذهبتُ إلى ييل، وكانت ييل أفضل مكان ترغب [illegible] السنة النهائية، اللواتي يُقمن معي، في الذهاب إليه لقضاء عطل نهايات الأسبوع. قرّرت ألاّ أرجو شيئاً من بَدي [illegible] حين لا ترتجي شيئاً من شخص ما، فإنّك لن تشعر بالخيبة أبداً.

«ينبغي عليك أن تنصرف الآن، وتجد جوان»، قلتُ بنبرة واقعيّة. «لديّ موعد مع شخص ما قد يأتي في أيّة لحظة، ولا أحبّ أن يراني جالسة معك».

«موعد مع شخص ما؟». بدا بَدي مندهشاً. «مَن؟».

«إنّهما شخصان في الواقع»– قلتُ– «بطرس الناسك وَوُلتَر المعدَم».

لم ينبس بَدي ببنت شفة، فواصلت الكلام: «هذان لقبيهما».

ثم أضفت: «إنّهما من دَارتماَوث Dartmouth».

اظنّ أنّ بَدي لم يكن مُلماً بالتاريخ، ذاك أنّ فمه تصلب. تأرجح من على الكرسيّ الدوار، دافعاً إيّاه بطريقة عنيفة غير ضروريّة. ثم ألقى بمظروف

Preview from Notesale.co.uk
Page 96 of 358
Twitter: @ketab_n

عبر الريح الباردة السوداء، الأميال الخمسة عائدين إلى المنزل، حيث كنت أنام، في غرفة المعيشة، على أريكة واطئة جداً. كانت الليلة تكلف خمسين سنتاً بدلاً من دولارين مثل معظم الأماكن التي بأسرّة مناسبة.

شعرت بالرتابة والتفاهة، وكانت رؤى مهشمة تجتاحني.

تخيّلت أنّ بَدِي سيقع في حُبّي في عطلة نهاية الأسبوع تلك، ولن أضطر إلى القلق بشأن الأشياء التي يتوجب عليّ فعلها كل ليلة سبت طيلة ما تبقّى من أيّام السنة. ونحن نقترب من المنزل الذي كنت أقيم فيه، أخبرني بَدِي:

«هيّا نذهب إلى مختبر الكيمياء».

كنتُ مشدوهة. «مختبر الكيمياء».

«نعم». مدّ بَدِي يده ليمسك يدي. «ثمة منظر جميل هناك، خلف مختبر الكيمياء».

كنت على يقين من ذلك. وراء مختبر الكيمياء مكانٌ كثير التلال تستطيع أن ترى، من فوقه، أضواء بضعة منازل في نيو هيفن New Haven.

وقفتُ متظاهرة بالاستمتاع بالمنظر، فيما كان بَدِي يوطد قدميه في الأرض الوعرة. أبقيت عينيّ مفتوحة، حين قبّلني، محاولةً استظهار المسافة التي تفصل بين أضواء البيوت حتى لا أنساها أبداً.

أخيراً، تراجع بَدِي إلى الوراء. «يا للرّوعة!»، قال. «يا لروعة ماذا؟» قلتُ، مندهشة. لقد كانت قُبلة قصيرة، جافّة وفاترة، وأذكر أنّني تفكرت في سوء طالعنا حين تشقّقت شفاهنا جرّاء المشي لخمسة أميال في تلك الريح الباردة.

«يا للروعة، أشعر بالسعادة وأنا أُقبّلكِ».

Preview from Notesale.co.uk
Page 98 of 358
Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 100 of 358

ولكنّه لم يقل شيئاً. لقد احمرّ وجهه من شدة الخجل.

«حسناً، هل سبق وأن فعلت ذلك؟».

«ماذا تقصدين بعلاقة عاطفيّة؟» سأل بَدِي بصوت أجوف.

«هل سبق وأن ذهبت إلى السرير مع إحداهنّ؟»، ثم واصلت تسريح شعري، على نحو متواتر، فوق جانب وجهي قرب بَدِي، فشعرت بالشعيرات الصغيرة المكهربة وهي تلتصق بوجنتيّ حتى رغبت في الصراخ: «توقّف، توقّف، لا تخبرني، لا تقل شيئاً». لكنّي لم أفعل، وقفتُ ساكنة من دون حراك.

«حسناً، نعم، كان لي علاقة ما»، قال بَدِي أخيراً.

كاد يغمى عليّ. لقد جعلني أشعر— ومنذ الليلة الأولى التي قبّلني فيها، وأخبرني بضرورة أن أخرج مع شبّان كثر— أنّني أكثر إثارة وخبرة منه، وأنّ كل شيء تقريباً، كالعناق والتقبيل والملاطفة، كنتُ أنا التي جعلته يشعر كأنّه يقوم به من حيث لا يدري، كانت هي اللحظة.

أدركت الآن أنّه كان يتظاهر بالبراءة طيلة الوقت.

«حدثني عن ذلك». سرّحت شعري على مهل، شاعرة كأنّ أسنان المشط تنغرس في خدي عند كل حركة. «من كانت؟».

بدا بَدِي مرتاحاً لأنّني لم أغضب. بدا أكثر ارتياحاً لوجود شخص آخر يمكنه إخباره كيف تعرّض للغواية.

بالطبع، لا بُد أنّ إحداهنّ قد أغوت بَدِي، فهو لم يبادر، ولم يكن ذلك ذَنبه. كان الأمر يتعلق بنادلة الفندق حيث عمل مساعداً لها، في الصيف الماضي، بِكَاب كُود. لاحظها بَدِي وهي تحدق فيه على نحو غريب، وتدفع نهديها نحوه في خضم فوضى المطبخ، حتى سألها ذات يوم عن الأمر، فنظرت

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 109 of 358

أنّني لم أجرؤ على إخباره بالأمر.

أخبرت بَدي بحزني الشديد بشأن إصابته بداء السل ووعدته أن أكاتبه، بيد أنّي حين أغلقت السماعة لم أشعر بشيء من الأسى أبداً. بل انتابني شعور ارتياح رائع.

ظننت أنّ داء السل يمكن أن يكون مجرّد قصاص على الحياة المزدوجه التي عاشها بَدي، وعلى شعوره بالتفوق على الآخرين. ثم فكرت أنّه من غير المناسب أن أعلن لجميع من في الكليّة عن قطع علاقتي بِبَدي لأشرع بذلك لعمل المُمل: المواعدة، مرّة أخرى.

أخبرت الجميع أنّ بَدي مصاب بالسل، وأنّنا قد أبرمنا الخطوبة فعليّاً، وحين كنت ألازم غرفتي للمطالعة في ليالي السبت، كانت الطالبات في غاية اللُطف معي لاعتقادهن أنّني شجاعة جداً بحيث أتصرف على ذلك النّحو لِأُداري قلباً منفطراً.

Preview from Notesale.co.uk
Page 113 of 358

Twitter: @ketab_n

توهّجت عينٌ خضراءُ على السرير بجانبي. كانت مقسمة أَرباعاً مثل بوصلة. مددتُ يدي ببطءٍ وأطبقتُها عليها. ثم رفعتها. كانت بذراع ثقيلة ثِقَل ذراع رجُلٍ، لكنّها دافئة بالنوم.

كانت ساعةُ قسطنطين تشير إلى الثالثة.

كان مُمدداً في قميصه وسرواله وجوربيه مثلما تركته حين خلدت إلى النّوم، وحين ألفت عيناي العتمة، تبيّنتُ جفونه الشاحبة وأنفه المستقيم وفمه المتسامح الجميل، لكنّها بدت خياليّة كما لو تطفو فوق ضباب. انحنيتُ فوقه، لدقائق معدودة، أتقرّى ملامحه. لم يسبق أن نمتُ قرب رجلٍ أبداً.

حاولتُ تخيُّل الأمر لو كان قسطنطينُ زوجي.

سيعني ذلك النهوض في السابعة، وقلي شرائح لحم خنزير مقدد بالبيض، وإعداد الخبز المحمص والقهوة؛ وأن أُبدد الوقت— وأنا في قميص نومي وشعري المعقوص— بعد ذهابه إلى العمل، لأغسل الصحون الوسخة وأرتب السرير. سيتوقّع، حين يعود إلى البيت، [illegible] آسر مفعم بالحياة عشاءً فاخراً ، ثم أقضي المساء في غسل مزيد من الصحون الوسخة حتى أقع على السرير وقد هدني التعب.

بدت تلك الحياة مُضيَّعةً، وباعثة على الضجر، بالنسبة إلى فتاة حصلت على علامات متفوقة طيلة خمس عشرة سنة، لكنّني عرفت أنّ هذه هي حقيقة الزواج، لأنّ الطبخ والتنظيف والغسل هي الأشياء التي كانت تقوم بها أم بَدِي ويلارد من الصّباح وحتى مغرب الشمس، رغم كونها مُعلمة في مدرسة خصوصيّة وزوجة أستاذ جامعيّ.

ذات مرّة، حين زرت بَدِي، وجدتُ السيّدة ويلارد وهي تجدل

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk
Page 127 of 358

(8)

أقلني السيّد ويلارد في سيّارته إلى الأديروندداكس.

كان ذلك في اليوم الذي تلا عطلة عيد الميلاد، فأظلتنا سماءٌ رماديّة حبلى بالثلج. شعرتُ بالامتلاء حد الغثيان وبالسأم والإحباط، مثلما يحدث لي، دائماً، غداة أعياد الميلاد، كما لو أنّ كل ما تَعِدُ به أغصانُ الصنوبر، والشموع، والهدايا الملفوفة بشرائط فضيّة وذهبيّة، والنّيران التي توقَد من خشب البتولا، والديك الرومي، والترانيمُ التي تُنشَد بمصاحبة البيانو، سيذهب هباءً منثوراً.

أكاد أتمنى [illegible] أعياد الميلاد، لو أنّني كاثوليكيّة.

تولّى السيّد ويلارد السياقة أولاً، ثم نِبتُ عنه. لا أعلم ما الذي كنّا نتحدث عنه. ولكن، عندما علقنا في طريق المطمور تحت طبقات من ثلج قديم، فيما تراصفت أشجار التنّوب، من التلال الممتدّة حتى حافة الطريق، فبدت سوداء لخضرتها الغامقة، غرقت في كآبة لا قرار لها.

انتابتني رغبة جامحة في إخبار السيّد ويلارد أن يواصل الطريق بمفرده، سأتدبّر أمر الحصول على توصيلة مجانيّة إلى البيت.

لكنّ نظرةً واحدة إلى وجهِ السيّد ويلارد (الشعرِ الفضيِّ بقصّته الصبيانيّة التي تشبه قصّة جنود البحريّة، والعينينِ الزرقاوين الصافيتين، والخدينِ الورديّين، وقد تجمدت –جميعها– مثل حالة مزاوجة جميلة بتعابير بريئة واثقة) جعلتني أدرك مدى استحالة ذلك. عليَّ القيام بالزيارة حتى النهاية.

وعند انتصاف النهار، تلاشى الجو الرمادي الذي يلفّ المكان قليلاً،

Preview from Notesale.co.uk
Page 131 of 358

Twitter: @ketab_n

الزّجاج المغشى، في رواق معتم بلون الكبد، تفوح منه رائحة شمع الأرضيّات والليزول Lysol ورائحة أخرى أشد غرابة، مثل أزهار غاردينيا مسحوقة.

دفع بَدي باباً بنيّاً، فدلفنا إلى غرفة ضيّقة.

كان قد استحوذ على معظم المكان سريرٌ ضخم تغطيّه ملاءة بيضاء مقلمة بالأزرق. وكانت إلى جانبه طاولة سرير عليها إبريق وكأس ماء، فيما كان مؤشر ميزان الحرارة، الذي على شاكلة غصن فضيّ، يتدلى من مرطبان فيه مطهّر ورديّ. وثمة طاولة ثانية، مغطاة بالكتب والأوراق والقدور الفخاريّة غير المتوازنة (والتي شويت بالفرن وطليت، لكنّها ليست صقيلة)، محشورة بين قائمة السرير وباب الخزانة.

«حسناً»، همهم السيّد ويلارد، «تبدو [الغرفة] مريحة تماماً».

ضحكَ بَدي.

«ما هذه؟». التقطتُ منفضة سجائر فخارية في شكل ورقة زنبق، حيث العروق مرسومة، بعناية، بالأصفر على خلفيّة خضراء غامقة. لم يكن بَدي مدخناً.

«تلك منفضة سجائر»، قال بَدي. «إنّها لكِ».

وضعت المنفضة في مكانها. «لكنّني لا أدخن».

«أعرف»، قال بَدي. «ظننتُ أنّها قد تعجبك على أيّة حال».

«حسناً»، لعق السيّد ويلارد شفتيه الناشفتين. «يجدر بي أن أنصرف الآن. سأترككما أيّها الشابين . . . ».

«لا بأس، يا أبي. يمكنك الانصراف».

كان الأمر مفاجأة بالنسبة إليّ. ظننت أنّ السيّد ويلارد سيقضي الليلة

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 135 of 358

«لا شيء»، قال بَدي بصوت خفيض واهن.

«عُصابيّة، ها!» ضحكتُ ساخرةً. «إن كان العُصابيّ يرغب في شيئين متبادلين، يُلغي الواحد منهما الآخر، في وقت واحد، ودفعة واحدة، فأنا عصابيّة تماماً. سأواصل التحليق، جيئة وذهاباً، بين هذين القطبين، حتى آخر أيّام حياتي».

وضع بَدي يده على يدي.

«دعيني أحلق معكِ».

وقفت على قمة منحدر التزلُج بِـ Mount Pisgah[29]، ناظرةً إلى أسفل. لم يكُن ثمة ما يستوقفني لكوني هناك. فلم يسبق لي أن تزلجت من قبل. فكرت، رغم ذلك، بالاستمتاع بالمنظر طالما الفرصة مواتية.

على يساري، كان حبل القَطْر يضع متزلجاً إثر متزلج فوق القمة الثلجيّة، التي غدت، لكثرة العبور، وذوبان الثلج الخفيف في الظهيرة، صلبة وصقيلة كالزّجاج. أنزل الهواء البارد عقابه برئتي وثقبيّ منخريّ، حتى استيقظت حواسي على وضوح رؤيويّ.

وفي كل مكان من حولي، كان المتزلجون بستراتهم الحمراء والزرقاء والبيضاء ينزلون المنحدر الذي يبهر الأبصار مثل مِزَق علم أميركيّ شاردة. وفي سفح مدرج التزلُج، كانت تصدح من الكوخ الخشبيّ أغنيات شعبيّة تخترق سجف الصّمت المخيّم.

29– قمة جبليّة ضمن سلسلة الأديروندداكس بشمال شرق نيو يورك. ذكرت التوراة، في سفر تثنية الاشتراع، Mount Pisgah بلفظ «قمة الفِسجَة». (المراجع).

Twitter: @ketab_n

«لماذا؟».

هزّ ماركو منكبيه. «إنّها ابنة عمي. ستصبح راهبة».

«هل هي جميلة؟».

«لن يلسمها أحدٌ».

«أتعلم أنّك تحبّها؟».

«طبعاً».

صمتُ. بدت العقبة، بالنسبة إليّ، غير حقيقيّة.

«إن كنتَ تحبّها»– قلتُ– «فإنّك ستحبّ امرأة أخرى ذات يوم».

سحق ماركو السيجار بطرف حذائه.

تصاعدت الأ[illegible] وانهالت عليّ بلطمة خفيفة. كان الوحل يتلوى بين أصابعي. انتظر ماركو حتى قمت جاثياً. ثم وضع كلتا يديه على كتفيّ وألقى بي في الوحل مجدداً.

«فستاني . . .»

«فستانك!». نزّ الوحل وصار بمستوى كتفيّ. «فستانك!». اكفهرّ وجه ماركو، ثم انحنى على وجهي. تساقطت بضع قطرات من لعابه على شفتيّ. «فستانك أسود والوحل، كذلك، أسود».

ثم ألقى بنفسه ووجهه إلى أسفل، كما لو كان يريد صهر جسده من خلالي في الوحل.

«سيقع الأمر»، فكرت. «سيقع». إن استلقيت هنا، ولم أفعل شيئاً، فإنّه سيقع».

أنشب ماركو أسنانه في نطاق الثوب الذي يطوق عنقي، ثم مزّق

Preview from Notesale.co.uk
Page 159 of 358
Twitter: @ketab_n

ثم فكرت، كيف يمكن لهذا الطبيب مساعدتي على أيّة حال، وهو المحاط بزوجة جميلة وطفلين جميلين وكلب جميل، يطوقونه بهالة، كهالة الملائكة في بطاقات أعياد الميلاد؟

«حاولي أن تخبريني بما يكدر صفوك».

قلبت الكلمات بريبة، مثل حصىً مدور صقلته مياه البحر، والذي قد يُنشب مخالبَ، فجأة، ويصير شيئاً آخر.

ما الذي يعكر صفوي؟

بدت تلك الصياغة وكأن لا شيءَعكر صفوي فعليّاً، لكنّني اعتقدت ذلك.

وبصوتٍ رتيبٍ خفيض– كي أُظهِر أنّني لم أقع تحت سحر ملامحه الجميلة، أو صورته الملائكيّة– أخبرت الدكتور غوردن حول عجزي عن النوم والأكل والقلق، لم أخبره عن خط يدي، أكثر الأشياء التي أزعجتني.

في ذلك الصباح، حاولت كتابة رسالة إلى دورين، التي كانت تتواجد في ڤرجينيا الغربيّة، سائلةً إمكانيّةَ العيش معها، وعن أعمال نادلةً في [مقصف] كليّتها، أو شيء من هذا القبيل.

ولكنّي حين أخذت قلمي، طفقت يدي تخط حروفاً ملتوية ضخمة، كتلك التي يخطها طفل صغير، وكانت الخطوط تنحدر أسفل الصفحة، من اليسار إلى اليمين، على نحو مائل تقريباً، كما لو كانت عُقد خيوط تتمدد على الورقة، حتى جاء شخص ما، فعبث بها، ثم جعلها تتخذ أشكالاً منحرفة.

كنت أعلم أنّني لا أستطيع إرسال رسالة كتلك، فمزّقتها مِزَقاً ووضعتها في حقيبة الجيب، قرب العلبة الصغيرة المتعددة الوظائف، في حال سأل الطبيب النّفسي عنها.

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 186 of 358

بإحدى الكليّات الشرقيّة الكبيرة المخصّصة للبنات، وقضيت شهراً في نيو يورك، ورفضت الزّواج بطالب مثاليّ يدرس الطب، والذي سيصبح– ذات يوم– عضواً بالجمعيّة الطبية الأميركيّة، ويجني أموالاً طائلة.

في شيكاغو، سيقبلني الناس مثلما أنا.

سأكون مجرّد إلِي هِغنبَتَم، اليتيمة. سيحبّني الناس لطبيعتي اللطيفة، الهادئة. لن يلحوا عليّ لأقرأ الكتب، وأكتب دراسات طويلة حول التوأم في [رواية] جيمس جويس[40]. وقد أتزوج– ذات يوم– ميكانيكيّاً فحلاً رقيقَ المشاعر، وأحظى بعائلة كبيرة مثل دُودُو كَنواي.

هذا لو وجدت الرغبة في نفسي للقيام بذلك.

«ماذا تريد أن تعمل بعد مغادرة البحريّة؟» سألتُ البحار فجأةً.

كانت تلك هي أطول جملة قلتها، فبدا كمن أُخذ على حين غِرّة. دفع قبعته البيضاء، التي تشبه كعكةً مُكوّبةً[41]، جانباً، وحكّ رأسه.

«حسناً، يا إلِي، فأنا لا أعرف شيئاً» وقال. «قد ألتحق بالجامعة مستفيداً من المنح التعليميّة التي تقدم لمن حارب في الحرب العالميّة الثانية.»

صمتُ برهةً. ثم قلت مقترحةً: «هل فكرت في فتح ورشة لتصليح السيّارات؟»

«كلاّ»، قال البحار. «لم يخطر ببالي أبداً».

نظرت إليه شَزراً. بدا أنّه لم يتجاوز السادسة عشرة بيوم واحد.

«أتدري كم عمري؟» قلتُ بنبرة تتوعّد.

40– إشارة إلى رواية Finnegans Wake. (المراجع).

41– Cupcake: كعكة صغيرة تخبز في قالب كوبيّ الشكل. (المراجع).

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk
Page 190 of 358

في إحدى الصحف، يتحدث عن شخص آخر.

«هل يقصد أن أقيم هناك؟»

«كلاّ، قالت أمي، وذقنها يرتعش.»

لا بُد وأنّها كانت تكذب.

«أخبريني بالحقيقة»– قلتُ– «وإلاّ لن أخاطبك ثانيةً».

«ألا أخبرك بالحقيقة دوماً؟»، قالت أمي، ثم انفجرت باكية.

إنقاذ شخص حاول الانتحار من حافّة الطابق السابع!

بعد ساعتين من الوقوف على حافّة الطابق السابع الضيقة فوق موقف سيارات من الكونكريت وحشد من الناس، قام الرّقيب ويل كلمَارتن Will Kilmartin من شرطة [illegible]، عبر نافذة قريبة، بإقناع [illegible] جورج بيلوتشي Pollucci بالعدول عن الانتحار.

كسرت قشرة حبّة فول سودانيّ سحبتها من الكيس الذي اشتريته لإطعام الحمام، والذي كلفني عشرة سنتات، وأكلتها. بدا طعمها تَفِهَاً، مثل طعم لحاء شجرة عجوز.

قرّبت الصحيفة إلى عينيّ حتى أنظر، عن كثب، إلى وجه جورج بيلوتشي، الذي كانت تغمره الأضواء، مثل قمر في تربيعه الأخير[42] قُبالة سماء

42– أي عندما يكون القمر قد أتم ثلاثة أرباع دورته حول الأرض. (المراجع).

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 194 of 358

(12)

توج المستشفى الخاص بالدكتور غوردن قمة مرتفع عشبي عند نهاية طريق خاصّ مُنعزلٍ، يُبّيَضَ بأصدافِ بَطْلينوس مكسورة. كانت الألواح الخشبيّة الصّفراء للمنزل الكبير، بشرفته التي تحيط به من كل جانبٍ، تلمعُ في الشمس، غير أن لا أحد كان يتمشى فوق قُبّة المرجِ الخضراء.

وحين اقتربتُ وأمي، لفح حرّ الصيف رأسينا، وأزّت [حشرة] زِيز الحصادِ، كجزّازة عشب هوائيّة، في قلب شجرة زان حمراء في الخلف. لم يعمل صوت زيز الحصاد سوى على تأكيد الصمت الهائل.

قابلتنا ممرّضة عند الباب.

«هلاّ تنتظران في غرفة الجلوس من فضلكما. سيأتي الدكتور غوردن بعد قليل».

ما أزعجني هو أنّ كل شيء في المنزل يبدو طبيعيّاً، رغم أنّني أعلم أنّه يغصّ بالمجانين. لم يكن ثمة قضبان على النوافذ، ولا أصوات مسعورة أو مزعجة. وازنت أشعّة الشمس نفسها في مستطيلات منتظمة على السجادات الحمراء الناعمة، وفاحت في الهواء رائحة عشب جُزّ للتو.

وقفت في مدخل حجرة الجلوس.

اعتقدتُ، لبرهة، أنّها مشابهة لردهة منزل ضيافة زرته مرّة في جزيرة بعيدة عن ساحل ميِين Maine. سمحت الأبواب الفرنسيّة لضياء أبيض يخطف الأبصار بالدخول، واحتل بيانو كبير الزاوية القصيّة من الغرفة، وكان أُناسٌ

Preview from Notesale.co.uk
Page 201 of 358
Twitter: @ketab_n

أغمضتُ عينيّ.

ران صمت قصير، كأنفاس حُبِسَت.

ثم انحنى عليّ شيءٌ وأمسكني ورجني كأنّها نهاية العالَم. وِي— ي— ي— ي، زعق، عبر هواء يتفرقع وميضاً أزرق، ومع كل ومضة كانت رجة قويّة تهزُّني حتى خِلتُ عظامي تتكسر والدم يشخب منّي مثل نبته مشطورة.

تساءلت أيّ شيء مرعب كنت قد اقترفته.

كنت أجلس في كرسيّ مملد، أحمل كأساً صغيرة من عصير الطماطم. كانت الساعة قد أعيدت إلى رسغي، لكنّها بدت غريبة. ثم أدركت أنّها رُبِطت رأساً على عقب. أشعر بالطريقة الغريبة التي وُضعت فيها الدبابيس في شعري.

«كيف تشعر؟»

طالما ظهر في مصباحُ أرضيّ معدنيّ عتيق. كان أحد الأشياء القليلة التي خلفها والدي في مكتبه. كان محاطاً بناقوس نحاسي يحمل اللمبة التي يتدلى منها سلك متهرّئ، بلون جلد النمر، يمتد على طول قاعدة معدنيّة، موصول بقابس في الجدار.

قرّرت، ذات يوم، أن أحرّك هذا المصباح من زاوية سرير أمي إلى مكتبي في الطرف الآخر من الغرفة. كان الحبل طويلاً بما يكفي، لذا لم أنزعه من القابس. أطبقت كلتا يديّ على المصباح والسلك الأجعد، وشددت عليهما بقوة.

حينئذٍ، لمع من المصباح شيء في شكل وميض أزرق ورجني حتى اصطكت أسناني. حاولت سحب يديّ، لكنّهما كانتا عالقتين، فصرخت، أو لعلها كانت صرخةً شقّت حنجرتي، لأنّني لم أميّزها، بل سمعتها تعلو وتتهدج

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk
Page 205 of 358

ستارلِت تفارق الحياة بعد غيبوبة دامت ثماني وستين ساعة.

راحت يدي تفتش بين مزَق الأوراق والعلبة وقشور الفول السوداني والقطع النقديّة والصندوق الأزرق الذي يحتوي على تسع عشرة موسى حلاقة من ماركة جيليت Gillette، حتى أخرجتُ الصّورة الفوتوغرافيّة التي التقطتها، في ذلك الأصيل، في الكشك المخطط بالبرتقاليّ والأبيض.

وضعتها إلى جانب الصورة الضبابية للفتاة الميّتة. كانت الصورتان متشابهتين؛ الفم كالفم، والأنف كالأنف. كان الفارق الوحيد يكمن في العينين. كانت العينان في الصورة الفوتوغرافية شاخصتين، وفي صورة الجريدة مُغمضتين. ولكنني أحسستُ كما لو أنّ أحدهم قد فتح عينيّ الفتاة على اتساعهما، بإبهاميّ يديه، ناظرًا إليّ بذات التعبير الكئيب الفارغ الذي للعينين في الصورة الفوتوغرافيّة.

أعدت الصورة مرة أخرى إلى محفظتي.

«سأجلس هنا في الشمس على مقعد الحديقة خمس دقائق أخرى قرب الساعة التي على ذلك المبنى هناك»، قلتُ لنفسي، «ثم سأذهب إلى مكان آخر وأقوم بذلك».

استحضرت جوقة أصواتي الصغيرة:

«ألا يعنيك عملُك، إستر؟»

«ومثلما تعرفين، يا إستر، فإنّ لديك الهيئة المثاليّة لعُصابيّة حقيقيّة».

«لن تبلغي مرادك إن بقيت على هذا الحال، لن تبلغي مرادك إن بقيت على هذا الحال، لن تبلغي مرادك إن بقيت على هذا الحال».

Preview from Notesale.co.uk Page 208 of 358
Twitter: @ketab_n

[متنزّه] پوينت The Point. ثم أشرق وجهه بابتسامة وهو ينظر إليّ. «ستأخذك الحافلة إلى بوابّة السجن مباشرة».

«أنتِ، هناك!» لوح شابٌ في بزّة زرقاء من الكوخ.

لوحت له وواصلت السير.

«أنتِ، هناك!»

توقّفت، ثم سرت على مهلي نحو الكوخ الذي يجثم، كغرفة معيشة دائريّة، فوق قَفْر الرمال.

«أنتِ، لا يمكنك الذهاب أبعد. هذه ممتلكات تابعة للسجن، لا يُسمح لأحدٍ أن يتخطاها».

«كنت أظن أن المرء باستطاعته الذهاب إلى أيّ مكان على الشاطئ»، قلتُ. «إلى أي مكان ما دام لا يتجاوز خط الماء».

فكر الشاب لبرهة

ثم قال: «ليس هذا الشاطئ».

كان له وجه نَضِر جذاب.

«لديكم مكان جميل هنا»، قلتُ. «يبدو كمنزل صغير».

نظر إلى داخل الغرفة، بسجادتها المجدولة وستائرها القطنيّة المُطبّعة.

ثم ابتسم.

«كما لدينا إبريق قهوة».

«اعتدت العيش بالقرب من هنا»

«كفاك مزاحاً. وأنا ولدت وترعرت في هذه البلدة أيضاً».

نظرت عبر الرمال إلى موقف السيارات والبوابة المُزلَجة، ثم إلى ما وراء

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk
Page 212 of 358

«لِمَ لا تذهبُ إلى البيت؟»، قلتُ.

قذف الصبيّ حجراً آخر، حجراً أثقل. فغرق بعد الوثبة الثانية.

«لا أرغب في ذلك».

«أمُك تبحث عنك».

«كلاّ». بدا قلقاً.

«إن ذهبت إلى البيت، سأعطيك بعض الحلوى».

اقترب الصبيّ منّي. «ما نوعها؟»

كنتُ أعلم،من دون أن أنظر في محفظتي اليدويّة، أنّ كل ما هنالك هو قشور الفول السوداني.

«ساعطيك بعض النّقود لشراء بعض الحلوى».

«آرثَر! Ar–thur!»

كانت امرأة تنزل على المرتفع الرملي. لا بد أنها كانت تلعن في سرّها، لأنّها كانت تحرّك شفتيها بين كل نداءٍ وآخر.

«آر . . . ثَر!»

حجبت عينيها بإحدى يديها، كما لو أنّ ذلك يساعدها على تبيان موقعنا عبر غسق البحر المتعاظم.

لاحظتُ عدم اكتراث الصبي كلما علا صوت أمه. راح يتظاهر أنّه لا يعرفني. ركل عدة أحجار، كما لو يفتش عن شيء، ثم انطلق.

اعترتني هِزّةٌ.

كانت الحجارة ثقيلة وباردة تحت قدميّ الحافيتين. اشتقت إلى حذائي الأسود الذي على الشاطئ. تراجعت موجةٌ، مثل يدٍ، ثم تقدمت ولامست

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 216 of 358

الحريريّ، الذي يتدلى من عنقي كذنب قطة صفراء، جلست على حافّة سرير أمي، محاولةً شد الحبل بقوة.

وكلما شددت الحبل، شعرت بحركة سريعة في أذنيّ وبتدفّق الدم في وجهي، تضعف يداي ثم تتراخى، فأصير على ما يرام مرّة أخرى.

تنبّهت، حينئذٍ، أنّ جسدي يمتلك كل أنواع الحِيَل الصغيرة، كجعل يديّ ترتخيان في اللحظة الحاسمة، فينقذ نفسه من الموت، مرّة تِلوَ أُخرى، ولو كانت زمام الأمور بيدي لكنتُ ميّتة في أيّة لحظة الآن.

كان عليّ أن أتحايل عليه بكل حِس تبقّى لديّ، وإلاّ سيحبسني في قفصه السخيف لخمسين سنة من دون أيّ معنىً أبداً. وحين يكتشف الناس أنّني قد فقدت عقلي، كما يتوجب عليهم، عاجلاً أم آجلاً، رغم تكتُم أمي، فإنّهم سيقنعونها بوضعي في مصحة عقلية حتى أُشفَى.

غير أنّ حالتي كانت مستعصية على الشفاء.

كنتُ اشتريت بضعة كتب ورقية الغلاف في علم النفس من متاجر بيع الأدوية، وقارنت بين الأعراض التي أعاني منها وتلك التي تذكرها الكتب، ومما لا شك فيه أنّ ما أعاني منه قد تطابق مع أعراض الحالات الميئوس منها.

كانت تلك الكتب، رفقة جرائد الفضائح، هي الشيء الوحيد الذي أستطيع قراءته. بدا الأمر كما لو أنّ كُوة صغيرة قد تُركت مفتوحةً لأعرف كل ما أحتاج إلى معرفته حول حالتي، لأُنهيها على الوجه الصحيح.

تساءلت، بعد إخفاقي التام في شنق نفسي، إن توجب عليّ الاستسلام وعرض نفسي على الأطباء، ثم تذكرت الدكتور غوردن وآلة الصعق الخاصة التي يمتلكها. فما إن أُحبَس هناك، حتى يخضعوني لتلك الآلة، ليلَ نهار.

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 225 of 358

ترمقني من الجهة الأخرى للجناح بنظرات حادة.

انحنت المرأة الشقراء ذات الوجه الحاد على العربة.

«ها أزهاري الصفراء»، قالت، «لكنّها اختلطت ببضع سوسنات وسخة».

انضمت أصوات أخرى إلى صوتيّ المرأتين. بدت أصوات غاضبة وعالية ومتذمرة. وحين هممت بفتح فمي لأفسر لهنّ أنّي قد ألقيت مجموعة من أزهار الدلفنيون الذابلة في المغسلة، وبما أنّ بعض المزهريّات كانت تبدو قليلة، ولم تَبْقَ سوى أزهار قليلة، فقد قمت بدمج بضع باقات أزهار أخرى [illegible] انفتحت الأبواب الدوارة ودخلت إحدى الممرضات.

«اسمعي أيتها الممرضة، كانت لديّ تلك الباقة الكبيرة من أزهار الدلفنيون التي حملتها إلى لاري Larry ليلةَ أمس».

«لقد أتلفت أزهاري الصفراء».

فككت أزرار بزّتي الخضراء وأنا أركض [illegible] حشرتها، وأنا أعبر [illegible] في حوض الغَسل الذي يضم أوساخ الأزهار الميّتة. ثم توجهت إلى السلالم الجانبيّة المنزوية التي تفضي إلى الشارع، ورحت أهبط درجتين بعد درجتين،من دون أن أصادف أحداً في طريقي.

«أيّ الطُرُق إلى المقبرة؟»

توقّف الإيطاليُّ الذي يرتدي سترة جلديّة سوداء، مشيراً إلى زقاق خلف الكنيسة المِيثودِيّة[48] البيضاء. تذكرتُ الكنيسة الميثوديّة. فقد كنت ميثُودِيّةً في

وأحمر وأزرق، وله أوراق بشكل الكَفّ ذات الأصابع الممدودة. (المراجع).

48- Methodist: كنيسة أنجيليكانيّة بروتستانتيّة تأسست بإنجلترا في القرن الثامن عشر على يد جون

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 230 of 358

أعيش فترة الحداد، التي لم تتجشم أمي عناءها، أمراً مناسباً.

لو لَم يمُت أبي، لعلمني كل ما يتعلق بالحشرات، حقلِ تخصّصه في الجامعة. وكان سيعلمني الألمانيّة واليونانيّة واللاتينيّة التي كان يعرفها أيضاً، وربّما كنت سأصبح لُوثَريّةً. كان أبي لُوثَرِيّاً في وِسكَنسِن Wisconsin، لكنّ [اللوثريّة] كانت موضة قديمة في نيُو إنغلاند New England، فارتد عن اللوثريّة، مثلما قالت أمي، ليصبح مُلحِداً.

أصابتني المقبرة بالإحباط. كانت تقع في ضواحي البلدة، على أرض وطيئة تشبه مكبّاً للنفايات، فكنت أشتم، وأنا أذرع الممرات المفروشة بالحصى، رائحة السبخات الملحيّة الراكدة وهي تعبق في المسافة.

كان الجزء القديم من المقبرة، بحجارته المُسطحة المتآكلة ونُصُبه التي تغطيها الأعشاب في وضع جيّد. لكنني سرعان ما أدركت أنّ أبي لا بُد دُفِن في الجزء الحديث الذي يعود إلى أربعينيات القرن الماضي.

كانت الحجارة في الجزء الحديث بسيطة ورخيصة، وكان مرمز يلصق بقبر هنا، وبآخر هناك، كحوض استحمام مستطيل مليء بالوحل، كما كانت صناديق معدنيّة صدئة تظهر في الموضع الذي تكون فيه سُرّة الميّت، مليئة بورود بلاستيكيّة.

ثم رَذَتِ السماء الرماديّة، فزادت كآبتي.

لم أستطع العثور على [قبر] أبي في أيّ مكان.

مرّت سحب وطيئة ملبّدة فوق ذلك الجزء من الأفق حيث يترامى البحر، خلف السبخات ومستوطنات أكواخ الشاطئ، فسودت قطرات المطر المعطف الشتويّ الأسود، الذي كنت اشتريته في ذلك الصباح. تسرّبت رطوبة

Preview from Notesale.co.uk
Page 233 of 358

Twitter: @ketab_n

«يريدونكِ أن تكوني في جناح خاص»، قالت أمي. «ليس في مستشفى البلدة ذلك النوع من الأجنحة».

«لقد أحببت المكان الذي كنتُ فيه».

ضاق فمُ أمي. «كان يتوجب عليك أن تُحسني التصرف إذن»

«ماذا؟»

«ما كان ينبغي عليك أن تكسري تلك المرآة. ربّما سمحوا لكِ بالبقاء حينئذٍ».

لكنّني كنتُ أعرف أن لا علاقة للمرآة بالأمر.

جلستُ في سرير بملاءات تصل إلى عنقي.

«لمَ لا أستطيع النهوض؟ لستُ مريضةً».

«وقت التفتيش على الأجنحة»، قالت الممرضة. «تستطيعين النهوض عقب انتهاء الجولات». سُحبت الستائر المحيطة بالسرير إلى مكانها، كاشفةً عن وجه شابّة إيطاليّة في السرير المجاور.

كانت للمرأة الأيطاليّة كتلة من خُصَل سوداء مشدودة، تبدأ من جبينها، وتصعد في شكل تسريحة پومبادور Pompadour ضخمة، ثم تنساب إلى أسفل ظهرها. وكلما تحرّكت، تتحرّك التسريحة الضخمة معها، كما لو كانت من ورق أسود مُقوى.

نظرت المرأة إليّ وقهقهت. «لمَ أنتِ هنا؟». لم تنتظر الإجابة. «أنا هنا بسبب حماتي الفرنسيّة-الكنديّة». ثَم قهقهت ثانيةً. «يعرف زوجي أنّني لا أطيقها، ورغم ذلك قال إنّ بإمكانها زيارتنا، وحين أتت، خرج لساني من رأسي ولم أَحُل من دون ذلك. ثم أدخلوني إلى جناح الطوارئ ومن ثَم

Preview from Notesale.co.uk
Page 246 of 358
Twitter: @ketab_n

واقفةً أمام باب مفتوح، تغطي نوافذه الداخليّة المربعة قضبان حديديّة.

كانت تصرخ، وتضحك بطريقة وقحة، وتصفع فخذيها كلما مرّ الأطباء، وكان المرافق ذو السترة البيضاء، الذي يعتني بمن في ذلك الركن من الجناح، يميل على مشعاع الممرّ، ضاحكاً بشكل هستيريّ.

خطفت المرأة ذات الشعر الأحمر السلطانيّة منّي وأفرغتها في صحنها. كانت حبّات اللوبياء مكومة أمامها، ومتناثرة في حضنها، وعلى الأرض، مثل قَش أخضر يابس.

«أوه، سيّدة مُول Mole!» قالت الممرضة بصوت حزين. «من الأفضل أن تأكلي في غرفتك اليوم».

ثم أعادت معظم حبّات اللوبياء إلى السلطانيّة، وأعطتها إلى الشخص الجالس قرب السيدة مول، ثم اقتادتها إلى الخارج. وطيلة عبورها الممرَّ المفضي إلى غرفتها، لم تكف السيدة مول عن التلفّت، والقيام بحركات ساخرة، وإصدار أصوات قبيحة مزعجة.

عاد الزنجي، وقد أخذ بجمع الأطباق الفارغة، التي لم تُسكَب فيها أيّة لوبياء بعد.

«لم نفرغ من طعامنا بعد»، أخبرتُه. «يمكنك الانتظار قليلاً».

«مَه، مَه!» جحظَ الزنجيّ مُتهكماً. ثم ألقى نظرة من حوله. لم ترجع الممرضة التي ذهبت لحبس السيدة مول في غرفتها بعدُ. قام الزنجيّ بانحناءة وقحة. «الآنسة المهمة المتعجرفة»، قال بصوت خافت.

رفعتُ الغطاء عن السلطانيّة الثانية، فبدت معكرونة باردة كالحجر، وملتصقة ببعضها بعجينة لزجة. كانت السلطانيّة الثالثة، والأخيرة، مليئة

Preview from Notesale.co.uk
Page 252 of 358
Twitter: @ketab_n

وإن دفعتها قرب بعضها بعضاً، فإنّها ستلتحم، من دون أيّ صَدع، في وحدة واحدة من جديد.

ابتسمت وابتسمت للكرة الفضيّة الصّغيرة.

لم أستطع تخيُّل ما الذي فعلوه بالسيّدة مُول.

Preview from Notesale.co.uk
Page 255 of 358

Twitter: @ketab_n

وإن كان الأمر كذلك، فإنّها لن تستطيع فعل أيّ شيء بتاتاً.

لكنّ أمي أبرقت إليها قائلةً: «كلاّ، إنّ الأمر يتعلق بالكتابة. فَإستِر تعتقد أنّها لن تكتب ثانيةً».

ولهذا عادت السيّدة غوينيا إلى بوسطن بالطائرة، ثم أخذتني من جناح مستشفى المدينة المكتظ، وها هي الآن تقلني بسيّارتها إلى مستشفى خاص يضم حدائق وملاعب للغولف، مثل ناد ريفيّ، حيث ستدفع نفقات علاجي، كما لو أنّني حصلت على منحة ما، حتى أُشفى على يد الأطباء الذين تعرفهم هناك.

أخبرتني أمي بضرورة أن أشعر بالامتنان. قالت إنّني قد استنفدت معظم مالها، ولولا السيدة غوينيا لما عرفت أين ستنتهي بي الحال. لكنّني عرفت أين سينتهي بي المآل. سأكون في المستشفى الحكوميّ الريفي الكبير، المجاور لهذا المكان الخصوصيّ.

كنت أعلم بضرورة أن أشعر بالامتنان تجاه السيّدة غوينيا، لكنّني لم أشعر بشيء. لو أنّها منحتني تذكرة إلى أوروبّا، أو رحلة بحريّة حول العالم، لكان الأمر سيّان عندي، فأينما جلستُ— سواءً على ظهر سفينة، أو في مقهىً رصيفيٍّ بباريس أو بانكوك— فإنّني سأكون جالسةً تحت ذات الناقوس الزجاجي، أتصبب عرقاً، في هوائي الفاسد.

فتحت سماءٌ زرقاء قُبّتها فوق النّهر، فتناثرت في النّهر الأشرعة. وما إن هممت بالقفز حتى وضعت أمي يدها على مقبض الباب، وكذلك فعل أخي. أزّت إطارات السيارة، لفترة وجيزة، فوق حاجز القضبان المتصالبة للجسر. لمعت الماء والأشرعة والسماء الزرقاء والنوارس المعلقة في الهواء كبطاقة بريديّة

Preview from Notesale.co.uk
Page 258 of 358

Twitter: @ketab_n

لاحظتُ كومة ثياب على كرسيّ قرب الممرّضة. كانت ذات الثياب التي وضعتها الممرّضة، التي في المستشفى الأول، في الحقيبة الجلديّة الفاخرة حين كسرت المرآة. أخذت الممرّضات بوضع العلامات اللاصقة على الثياب.

عدتُ أدراجي إلى الرَّدهة. لم أستطع إدراك ما الذي كان يفعله هؤلاء النّاس؛ يلعبون تنس الرّيشة والغولف. لا بُد أنّهم ليسوا مرضى بتاتاً، ليقوموا بذلك.

جلستُ قرب ڤاليري، وراقبتها بحذر. أجل! لا بُد أنّها كانت في مخيّم كشفيّ للبنات. كانت تقرأ نسختها المهترئة من مجلة ڤُوغ Vogue، باهتمام شديد.

«ما الذي يعيبها بحقّ السماء؟» تساءلتُ. «لا يبدو أنّها تعاني من شيء».

«أتمانعين إن دخنتُ؟» سحب الدكتور نولان إلى الخلف في الكرسيّ ذي الذراعين قرب سريري.

أخبرتها أن لا مانع لديّ، فلقد أحببت رائحة الدخان. ظننتُ إن دخنت الدكتورة نُولان، فإنّها ستمكث فترة أطول. كانت تلك هي المرّة الأولى التي تأتي فيها للحديث معي. وحين تغادر سأغرق في الفراغ القديم تماماً.

«أخبريني عن الدكتور غوردن»، قالت الدكتور نُولان فجأةً. «هل أحببته؟»

رمقتُها بنظره حَذِرة. ظننتُ أنّ جميع الأطبّاء متورّطون في الأمر، وأنّه، في مكان ما من المستشفى، وفي زاوية سريّة، ترقد آلةٌ تشبه آلة الدكتور غوردن تماماً، جاهزةٌ كي ترجني لأخرج من جلدي ثانيةً.

Preview from Notesale.co.uk
Page 262 of 358
Twitter: @ketab_n

«كلاّ»، قلتُ. «لم أُحببه قط».

«هذا مثير للاهتمام. لماذا؟»

«لم يَرُق لي ما كان يفعله بي».

«ما الذي فعله؟»

أخبرتُ الدكتورة نُولان عن الآلة والوميض الأزرق والرَّج والضوضاء. وفيما كنتُ أحكي لها، غدت هادئةً جداً.

«كان ذلك خطأً»، قالت حينئذٍ. «ليس من المفترض أن تكون الأمور على ذلك النّحو».

حدقتُ فيها.

«إن استسلمتِ كما ينبغي»، قالت الدكتورة نُولان، «فإنّه كالذهاب إلى النّوم».

«سأقتل من يخضعني لذلك مجدداً».

قالت الدكتورة نُولان بحزم: «لن نُخضعكِ لأيّة صّعقات كهربائيّة ثانية. وإن توجب ذلك»— قالت مُصححةً— «فسأخبركِ بذلك مُسبقاً، وأعدك أنّها ستكون مختلفة عن المرّة السابقة. لماذا؟»— أتمت كلامها— «لأنّ بعض النّاس يحبّونها».

بعد ذهاب الدكتورة نُولان، وجدتُ علبة ثقاب على حافّة النّافذة. لم تكُن علبةً من الحجم العاديّ، ولكن بالغةَ الصّغر. فتحتها، فوجدتُ صفَّ عيدان بيضاء صغيرة، ذات رؤوس ورديّة. حاولتُ إشعال عُودٍ، فانكمش في يدي.

لم أدرك لِمَ تركت لي الدكتورة نُولان مثل ذلك الشيء المُمل. لعلها

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 263 of 358

لا بُد أنّهم سينقلونني إلى وَاي مَارك.

«أوه، إنّهم ينقلونك إلى الجانب الأماميّ من البناية»، قالت الممرّضة مبتهجةً. «ستحبّين المكان. فثمة شمسٌ كثيرة هناك».

وحين خرجنا إلى الممرّ، رأيتُ الآنسة نوريس تنتقل هي الأخرى. كانت ممرّضة شابّة ومرحة، على شاكلة التي ترافقني، تقفُ بباب غرفتها، وتساعدها على ارتداء معطف أرجوانيّ ذي ياقة من فرو سنجاب أعجف.

قضيت الساعة تلو الأخرى مرابطة بجانب سرير الآنسة نوريس، رافضة اللهو والتنزّه ومباريات تنس الرّيشة، وحتى مشاهدة الأفلام الأسبوعيّة، التي استمتعت بها، والتي لم تشاهدها الآنسة نوريس أبداً، كي أتملى حلَقة شفتيها الصّغيرة الشاحبتين [illegible].

فكّرت كم سيكون الأمر مثيراً إن انفتحت فمها ونطقت، وكيف سأهرع، حينئذٍ، إلى الممرّ وأخبر الممرّضات. سيُكال لي المديح لتشجيعي الآنسة نوريس، وقد يُسمح لي بامتيازات التسوّق ومشاهدة الأفلام في وسط البلد، وبذلك يكون هروبي أكيداً.

ولكنّ الآنسة نوريس لم تنبس ببنت شفة طيلة ساعات سهري عليها.

«إلى أين يأخذونكِ؟»، سألتُها.

لمست الممرّضة مرفق الآنسة نوريس، فاهتزّت كما لو كانت دمية بعجلات.

«إنّها ذاهبة إلى وَاي مَارك»، أخبرتني الممرّضة بصوت خفيض. «أخشى ألاّ تكون الآنسة نوريس تستجيب للعلاج مثلك».

شاهدتُ الآنسة نوريس وهي ترفع قدماً، ثم الأخرى، فوق المَرقى

Preview from Notesale.co.uk
Page 268 of 358

Twitter: @ketab_n

تبسمت جْوَان، كاشفة عن أسنانها الكبيرة اللامعة الجليّة.

«إنّها أنا. ظننتكِ ستفاجئين».

Preview from Notesale.co.uk
Page 270 of 358

Twitter: @ketab_n

(16)

كانت غرفة جوَان، بخزانتها ومكتبها وطاولتها وكرسيّها وملاءتها البيضاء وحرف سِي C الكبير الأزرق الذي عليها، مشابهة تماماً لغرفتي. خطر ببالي أن تكون جُوَان، حين سمعت بوجودي هنا، قد استأجرت غرفة في المصحة متظاهرة بالمرض، على سبيل الدعابة، ليس إلاّ. لعل هذا ما يفسر إخبارها الممرّضة أنّني صديقتها. كانت علاقتي بجوان سطحيّة، لم تتجاوز حدوداً معيّنة.

«كيف وصلتِ إلى هنا؟» جلستُ متكورةً في سرير جوَان.

«لقد قرأتُ عنكِ»، قالت جوان.

«ماذا؟»

«قرأتُ عنكِ، فلذتُ بالفرار».

«ماذا تقصدين؟» قلتُ بحزم.

«حسناً»، مالت جوان إلى الوراء في كرسيّ المصحة ذي الذراعين المُزيّن بقماش قطنيّ مُوَرَد، «كنتُ أشتغل، خلال الصّيف، لدى رئيس أخويّة — على شاكلة الماسونيّين، كما تعلمين، ولكنّها ليست ماسونيّة — فشعرتُ بألم فظيع. كانت لديّ أورام ملتهبة في مفاصل أصابع قدميّ، فلم أستطع المشي تماماً؛ ارتديت، في آخر أيّامي هناك، جزمة مطاطيّة لمزاولة العمل، عوضاً عن الحذاء العاديّ، ولكِ أن تتخيّلي أثر ذلك على معنويّاتي . . . .»

خطر ببالي إما أن تكون جوان مجنونة — لارتدائها جزمة مطاطيّة

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk
Page 271 of 358

أصفر حام، فراقبتها وهي تشعل به سيجارتها.

«تقول السيّدة بِي .B إنك شعرت بتحسُن».

«لبرهة. والآن كما كنتُ في السابق».

«لديّ أخبار لكِ».

انتظرتُ. قضيتُ كل صباحات تلك الأيّام التي لا أذكر عددها، وكل آصالها ومساءاتها — مُلتفّةً بملاءتي البيضاء على كرسيٍّ طويل، قابل للطيّ، في المُختَلَى المُظلَل، متظاهرة بالقراءة. راودتني فكرة غامضة أنّ الدكتورة نُولان تمنحني بضعة أيّام، ومِن ثَم ستقول ما قاله الدكتور غوردن: «آسفة، لا يبدو أنك تتحسنين، من الأفضل أن تخضعي للعلاج بالصّدمة الكهربائيّة . . . .»

«حسناً، ألا تُريدين أن تتعر فيها؟»

«بلى؟» قلت بصوت خافت، ثم هيأتُ نفسي.

«لن تستقبلي زوار الترقيم».

حدقت، مندهشةً، في الدكتورة نُولان. «حسناً، هذا رائع».

«ظننتُك ستُسرّين لذلك». وابتسمت.

ثم نظرتُ — ونظرت الدكتورة نُولان — إلى سلة المهملات التي قرب مكتبي. كانت تظهر من السلة البَراعمُ القانية لمجموعة ورود ذات سيقان طويلة.

في ذلك الأصيل، جاءت أمي لزيارتي.

كانت أمي واحدة من طابور زوار طويل: مُستخدِمتي السابقة، والسيّدة العضوة بالجمعيّة العلميّة المسيحيّة، والتي مشيت معي في المرجة، وحدثتني عن السديم الذي ينبعث من الأرض في الإنجيل، وأنّ السديم كان خطأ، وأنّ مشكلتي تكمن في إيماني بالسديم، وحين أتوقّف عن الإيمان به،

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 279 of 358

في ذلك الأصيل، جاءتني أمي ببعض الزّهور.

«احتفظي بها ليوم جنازتي»، قلتُ.

تغضن وجهها، وبدت على شفير البكاء.

«ولكن — يا إستِر — أتذكرين أيّ الأيّام اليوم؟»

«كلاّ».

أظنّه يوم القديس ڤالنتاين.

«إنّه يوم ميلادك».

حينها، ألقيتُ الزّهور في سلة المهملات.

«كان تصرّف أمي سخيفاً»، أخبرتُ الدكتورة نُولان.

أطرقت الدكتورة نولان، وكأنّها تعلم ما أعني.

«إني أكرهها»، قلتُ، وانتظرتُ الصفعة.

لكنّ الدكتورة نُولان اكتفت بالتبسّم، كما لو أنّ شيئاً ما أدخل السرور عليها، ثم قالت: «أظنُّكِ كذلك».

Preview from Notesale.co.uk
Page 281 of 358

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 282 of 358

شعرتُ أنّ الممرّضة قد تلقّت تعليمات بإظهار البدائل المتاحة أمامي. إما أن أتعافى، أو أتهاوى، عميقاً، عميقاً، عميقاً، كنجم محترق، من بِلسَايز إلى كابلان إلى وَايمَـارك، ومن ثَم، في نهاية المطاف — بعد أن تيأس الدكتورة نُولان والسيّدة غوينيا— إلى مستشفى الدولة المجاور.

ضممت البطانيّة حولي، ودفعت الكرسيّ إلى الوراء.

«أتشعرين بالبرد؟» سألت الممرضة بصلافة.

«نعم»، قلتُ، وأنا أمضي عبر الممرّ. «إنّي أتجمد».

استيقظتُ دافئةً وهادئة في شرنقتي البيضاء. كان شعاع شمس شتويّ شاحب قد التمع في المرآة، وعلى الكؤوس التي فوق الخزانة الخفيضة، وعلى مقابض الأبواب [illegible] كانت تتناهى، عبر الممر، قرقعة الصباح الباكر التي تحدثها الخادمات في المطبخ، وهنّ يهيّئن صينيات الإفطار.

سمعتُ الممرضة وهي تطرق الباب المجاور لي في الطرف القصيّ من الممر. دوى صوت السيّدة صافيج الناعس. دخلت الممرضة إلى غرفتها حاملة الصينيّة المُصلصلة. فكرتُ، تعتريني رعشة بهجة ممتعة، بإبريق القهوة الخزفي الأزرق وكوب الإفطار الخزفيّ الأزرق وإبريق القشدة الخزفي الكبير الأزرق بأزهار الأقحوان التي تغطيه.

أخذت مشاعر الاستسلام تجتاحني.

إن كنتُ سأنهار، فإنّني سأتشبّث بمسراتي الصّغيرة، بِقَدر استطاعتي، على الأقل.

طرقت الممرضة بابي، ودون أن تنتظر جواباً، دلفت إلى الغرفة.

كانت ممرضة جديدة (فغالباً ما كانوا يغيّرون طاقم الممرضات) ذات

Preview from Notesale.co.uk Page 289 of 358
Twitter: @ketab_n

(18)

«إستِر».

صحوتُ من نوم عميق، مُبلَلة بالعرق، وكان أول ما وقعت عليه عيناي وجه الدكتورة نُولان وهو يتماوج أمامي قائلاً: «إستِر، إستِر».

فركتُ عينيّ بيَد خرقاء.

أستطيع أن أرى، خلف الدكتورة نُولان، جسد امرأة بثوب ذي ترابيع بيضاء وسوداء، مُلقىً على سرير خفيف نقّال، كما لو سقط من عُلوٍ شاهق. وقبل أن أرى المزيد، غادرت الدكتورة نُولان عبر باب إلى هواء منعش تعلوه سماء زرقاء.

تلاشت الحرارة، وتلاشى الخوف أيضاً. شعرت بالطمأنينة فجأة. كان الناقوس الزجاجي معلقاً، يتدلى، على بعد خمسة أقدام، فوق رأسي. كنت عُرضة للهواء الذي يهفو.

«لقد كان كما أخبرتكِ، أليس كذلك؟» قالت الدكتورة نُولان، ونحن نسير عائدتين إلى بِلسَايز معاً عبر خشخشة أوراق أشجار بنيّة.

«بلى».

«حسناً، سيكون الأمر كذلك دوماً»، قالت بحزم. «ستخضعين للعلاج بالصّعقة الكهربائيّة ثلاث مـرّات في الأسبوع: الثلاثاء والخميس والسبت».

عببتُ نَشقة هواء مديدة.

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 297 of 358

«أين؟»

«في الغابة، قرب البحيرات المتجمدة . . . .»

فتحت فمي، غير أنّي لم أَقْوَ على الكلام.

«وجدتها إحدى الممرّضات»، واصلت الدكتورة كوِنّ حديثها، «الآن فقط، وهي في طريقها إلى العمل . . . .»

«ليست . . .»

«ميّتة»، قالت الدكتورة كوِنّ. «أخشى أنّها قد شنقت نفسها».

Preview from Notesale.co.uk
Page 324 of 358

Twitter: @ketab_n

لفترة وجيزة، ولكنّها الآن بيننا من جديد.

«كنتُ أتساءل . . .» وضع بَدِي فنجانه في صحنه بقعقعة غريبة.

«عَمَ كنت تتساءل؟»

«كنتُ أتساءل . . . أعني، فكرتُ أنّـك قد تكونين قـادرة على إخباري بشيء ما». تلاقت نظراتنا، فرأيتُ— لأول مرّة— كم تغيّر. فبدلاً من الابتسامة الواثقة القديمة التي كانت تلمع بسهولة غالباً، كمصباح مُصور فوتوغرافيّ، كان وجهه قاتماً، وحتى متردداً— مثل وجه رجل لا يحصل على ما يريده غالباً.

«سأخبرك إن استطعت ذلك، بَدِي».

«هل تعتقدين أنّ شيئاً ما فيَّ يجعل النّساء يصبن بالجنون؟»

لم أتمالك نفسي، انفجرت ضاحكةً— لعلها جديّة وجه بَدِي والمعنى المتداول لكلمة «جنون» في جملته تلك.

«أعني»، واصل بَدِي كلامه، «كنتُ أوّلاً مع جوان، ثم أنتِ، ولكنكِ . . رحلتِ، ثم جوان . . .»

برفق— وبإصبع واحد— ألقيتُ كسرة كعك في قطرة شاي أسود رطبة.

«بالطبع، لا دخل لك في ذلك!» سمعتُ الدكتورة نُولان تقول. كنت قد ذهبت إليها بشأن جوان، وكانت تلك هي المرّة الوحيدة التي أذكر أنّها بَدَت غاضبة: «لا دخل لأحد في ذلك. هي، وحدها، المسؤولة». ثم أخبرتني كيف أنّ هنالك حالات انتحار بين مرضى أفضل الأطبّاء النّفسانيّين، فكيف يمكن أن يُلاموا على ذلك— إن كان ثمة مَن يُلام— لكنّهم لا يعتبرون أنفسهم

Twitter: @ketab_n
Preview from Notesale.co.uk Page 329 of 358

حين ظهرت الدكتورة نُولان من حيث لا أعلم، وربّتت على كتفي.

«حسناً، إستِر»

نهضتُ وتبعتها إلى الباب المفتوح.

وحين ترددتُ، لالتقاط نفس قصير، عند العتبة، رأيت الطبيب ذا الشعر الفضيّ، الذي حدثني، في يومي الأول، عن الأنهار والمهاجرين الإنجليز. ثم رأيت وجه الآنسة هيوي الشاحب ذا البثور، وبعض العيون التي ظننت أنّي أعرفها، وهي فوق أقنعة بيضاء.

استدارت كل العيون والوجوه نحوي، وهي ترشدني إلى الطريق، كما لو كانت شعاعاً سحرياً، ثم دلفتُ إلى الغرفة.

Preview from Notesale.co.uk
Page 335 of 358

Twitter: @ketab_n

السنة الدراسيّة التالية، قصائد أكثر، ونالت جوائز إضافيّة، وكتبت أطروحتها الطويلة، للحصول على الإجازة في الأدب الإنجليزيّ، حول ازدواجيّة الشخصيّة في روايات دوستويفسكي. تخرّجت، في حزيران لسنة 1955، من كليّة سميث، بتفوق مع مرتبة الشرف، مع احتمال حصولها على منحة فولبرايت Fulbright لدراسة الإنجليزيّة، لمدة عام، في كليّة نيوهام بجامعة كيمبريدج. هناك، التقت سيلڤيا بالشاعر البريطانيّ تيد هيوز Ted Hughes، الذي تزوجته، في لندن، في 16 حزيران 1956: يوم بلووم[60]. جُدِدت منحة فولبرايت، وبعد عطلة في إسبانيا، عاش تيد وسيلڤيا في كيمبريدج لسنة أخرى. ثم انتقلا، في ربيع 1957، إلى الولايات المتحدة، حيث اعتبرت سيلڤيا، من طرف زملائها، «واحدة من أفضل مُدرِّسين، أو ثلاثة، في شعبة اللغة الإنجليزيّة بكليّة سميث أبداً».

من المحتمل أن تكون سيلڤيا قد احتفظت بنسخة من *الناقوس الزجاجي* بين أمتعتها، حين عادت إلى الولايات المتحدة، لكنها كانت تُركّز كل جهودها على الشعر والتدريس. تقدمت، في حزيران 1958، بطلب للحصول على منحة أُوجين إف. ساكستن لتنهي كتاب قصائدها. كانت منحة ساكستن قد أنشئت لـ «تكريم محرّر متميّز بدار هارپر آند بْرَذَرز للنّشر»؛ وكان مجلس الأمناء يقدم، بناء على تحفّظ أعضائه، منحاً كاملة لإعالة الكتّاب ماديّاً. وكانت موافقة ثلاثة أعضاء ضروريّة للحصول على المنحة، وقد لاحظ أحد الأعضاء— والذي اعتبر عيّنة القصائد المقدمة «فوق النّقد»— قائلاً: « بالنّظر في تاريخ السيدة

60- Bloomsday: يوم الاحتفاء، في دبلين، بالرّوائيّ الإيرلنديّ جيمس جويس وروايته عوليس التي جرت أحداثها في نفس اليوم: السادس عشر من حزيران لسنة 1904. (المترجم). [والاسم مشتقّ من ليوبولد بلووم، بطل الرّاوية (المراجع)].

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk
Page 346 of 358

مسقوف بالقش، وفي السادس من تشرين الثاني لسنة 1961، كتب سكرتير مجلس أمناء منحة ساكستن أنّهم وافقوا على منحها منحة بقيمة 2080$، « المبلغ الذي اقترحته». أجابت سيلڤيا: «لقد كنت في غاية السرور حين تسلمت رسالتك الطيّبة اليوم، والتي تتحدث فيها عن منحة ساكستن. لا شك إنّني عازمة على المضيّ قدماً في كتابة الرّواية، وقد جاءت المنحة في وقت مناسب جداً، لتحرّرني من الأعباء التي تثقل كاهلي».

وفي 17 كانون الثاني لسنة 1962، وُلد ابنها نيكولاس. كان وقتها موزّعاً بين رعاية ابنيها والعمل المنزليّ والكتابة، لكنّها— في العاشر من شباط لسنة 1962— أرسلت، في الوقت المحدد، تقريرها الرّبعيّ الأول حول تقدُم روايتها إلى مجلس أمناء منحة ساكستن. «تقدمت الرّواية، خلال الأشهر الثلاثة الماضية، بخطى مرضية جدا، وفقاً لبرنامجي التمهيديّ. لقد راجعت الكثير من المسودات إلى أن وصلت إلى صيغة نهائيّة للفصل التاسع حتى الفصل الثامن، منجزة 105 صفحات من مجموع الرواية، كما وضعت خطة تمهيدية مفصّلة للفصل التاسع حتى الثاني عشر». ثم قدمت خطط مفصّلة لرواية الناقوس الزجاجي. ورغم أنّ الرواية كانت تسير على نحو جيّد، إلاّ أنها اشتكت إلى إحدى صديقاتها من شعورها أنّها لا تشتغل بما يكفي: «لا شك أنّ بضع قصائد أحبّها، في كل سنة، تبدو شيئاً كثيراً حين تنشر، لكنّها في الحقيقة علامات رضا تفصلها عطالات هائلة». وفي بداية أيّار لسنة 1962، في التقرير الرّبعيّ الثاني المقدم إلى مجلس أمناء المنحة، كتبت: «تسير الرّواية بخطى جيّدة، وفقاً للبرنامج. لقد أكملت الفصل التاسع حتى الثاني عشر (من الصفحة 106—166) ووضعت خطة تمهيديّة مفصّلة للخطوة المقبلة». وبحلول

Preview from Notesale.co.uk
Page 349 of 358

Twitter: @ketab_n

وقبل أيّام من أعياد الميلاد، انتقلت سيلفيا وولداها إلى لندن، حيث كانت قد وقّعت عقد إيجار شقّة لمدة خمس سنين:

. . . وقعت معجزة صغيرة— زرت برج[61] ييتس Yeats بِبَاليلي Ballylea، والذي اعتقدت، وأنا في أيرلندا، أنّه أكثر أماكن العالم جمالاً وأكثرها هدوءاً؛ ثم، وأنا أتمشى، متوحدةً، حول پْرِم رُوز هِل Primrose Hill[62]، المكان الذي أعشقه في لندن، متأملة استحالةَ العثور على شقّة للإيجار . . . مررت بمنزل ييتس بلافتته الزّرقاء، «هنا عاش ييتس»، والذي كثيراً ما مررت به اشتهيت أن أعيش فيه. كانت لافتة في الأعلى كُتب عليها «شقق للإيجار»، فهرعت إلى الوكيل العقاريّ، سيبدو الأمر معجزة فقد سبق لي أن حاولت العثور على شقّة للإيجار في لندن، كنت أول من تقدم . . . . إنّني هنا، بعقد إيجار لخمس سنين، وإنه النعيم المطلق . . . وإنّه منزل ييتس، الذي يعني لي الآن كثيراً.

اعتبرت سيلفيا العثور على منزل ييتس علامة ما. لقد أخبرت إحدى صديقاتها أنّها كانت «تعلم»— حين خرجت للبحث عن شقّة للإيجار في ذلك اليوم— إنّها سوف تجدها، فأخذت تضع الخطط، بكل ذلك التأكيد، وبكل ثقة حيويّة بالنّفس. كانت تشتغل على رواية جديدة، وكانت قصائد إريل تواصل

61– وهو البرج Tower (ويعرف باسم القلعة Castle أيضاً) الذي أقام به ييتس وزوجته وابنته من 1919 وحتى 1929، يتكون من أربعة طوابق — يربطها ببعضها سلم حجريّ — في كل طابق غرفة، وفي كل غرفة نافذة تطل على النّهر الذي يجري قربه. وثمة قصيدة شهيرة لييتس تحمل اسم «البرج». (المراجع).

62– حرفيّاً: تل أزهار الرّبيع، وهو تل بارتفاع 256 قدماً، يقع في شمال لندن. (المراجع).

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 351 of 358

تشعر بالخوف حين قُرئ الكتاب، إبّان نشره، على نطاق واسع، وظهور علامات على نجاحه التجاريّ. كتبت لأخيها «يجب ألاّ ينشر الكتاب في الولايات المتحدة». . . . من المفترض أن يشير عنوان *الناقوس الزجاجي* إلى ما أخبرتني به سيلفيا، وهذا ما يتوجب على القارئ الحاذق أن يستخلصه . . .

كان الشتاء الأكثر برودة في لندن منذ 1813–1814. كانت الإنارة والتدفئة تنقطعان من دون سابق إنذار. كما تجمد الماء في المواسير. تقدمت بطلب للحصول على هاتف— وكان اسمها مدرجاً في اللائحة— غير أنّ الهاتف لم يركّب بعد. كانت تشتغل في كل صباح، وقبل استيقاظ الأطفال في الساعة الثامنة، على قصائد إريل. هنا غدت التجربة الإنسانيّة— كشيء مرعب خارج عن السيطرة— والعلاقات الإنسانيّة— بوصفها لاعبة ومُتلاعَب بها— مسيطرة على مخيّلتها. ومع ذلك، فقد كتبت بقوة، مقتنعة أنّ كل ما تكتبه الآن لا يمكن لأيّ شخص آخر أن يقوله. كانت دائماً ثمة حاجة إلى أن تكون عمليّةً، أن تجد وقتاً للتعبير المُتعمد عن المعاناة. كتبت سيلفيا: «أشعر كأنّني أداة، أو سلاح، شديد الفعالية، استخدم عند الطلب، من حين لآخر . . .». كانت قد زارت طبيباً وصف لها بعض الأدوية المهدئة، ورتب لها لقاء لاستشارة معالج نفسانيّ. كتبت رسالة لتحدد موعداً، كما كتبت رسالة إلى طبيبها النّفسانيّ السابق في بوسطن. كانت مشكلة احتقان الجيوب الأنفيّة المتكرّر قد تفاقمت. كانت قد طردت جليسة أطفالها في انتظار من

Twitter: @ketab_n

Preview from Notesale.co.uk Page 354 of 358